لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بني سويف

النهب والخدمة

نداء العصر

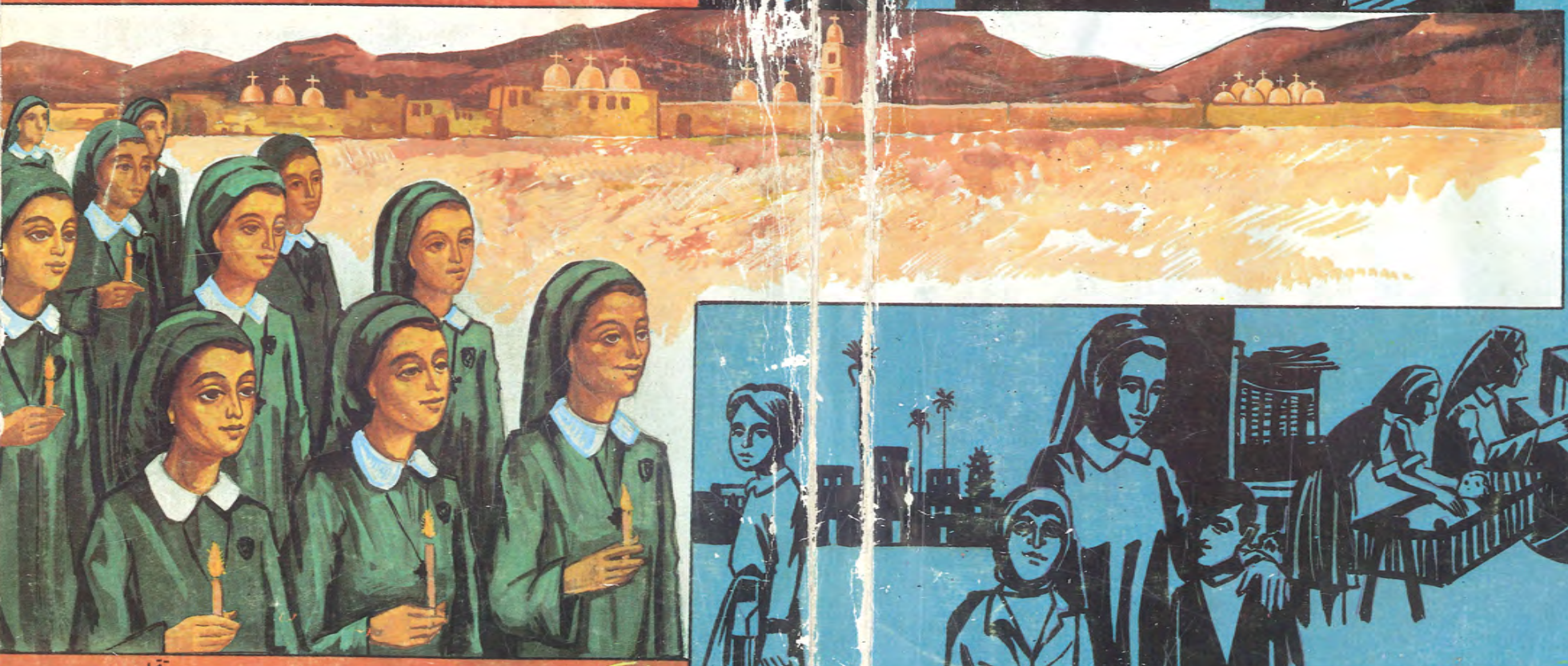

أ ب ت ث ج
ح خ د ذ ر ز
س ش

تقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
مطران بني سويف والبهنسا

لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بني سويف والبهنسا

الترهب والخدمة
نداء العصر

تقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
مطران بني سويف والبهنسا

راهبات دير بنات مريم
بني سويف

الكتاب : الترهب والخدمة نداء العصر .
المؤلف : راهبات دير بنات مريم بنى سويف .
الطبعة : الأولى يوليو ١٩٨٨م .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست ـ الكاتدرائية ـ العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٨/٤٧٦٩ .

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

نهدى هذه الدراسة المتواضعة

إلى

روح أبينا المثلث الرحمات المتنيح البابا كيرلس السادس نبع بركة هذا الدير .

وإلى

أبينا صاحب القداسة المثلث الطوبى البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث راعى رهبنة هذا الجيل .

وإلى

الكنيسة القبطية الحبيبة

التى منها ننبع وفى مجراها نسير وفى بحرها الزاخر نعيش .

هاميطانيا . باركوا علينا

راهبات دير بنات مريم
بنى سويف

مقدمة ١

الرهبنة والخدمة :

للرهبنة أصول وضعها آباؤنا الأوائل الذين أسسوها وكانوا ولا زالوا روادها . لقد كانوا مسيحيين من نوع فذ مثلهم مثل غيرهم من أعمدة الكنيسة فى العصور الأولى . نال البعض فرصة الأستشهاد بسفك الدم أمام مضطهديهم ، وثبت بعضهم فى الحياة شاهداً للإيمان بالقداسة والفضيلة فى طبيعتها الصادقة ، وغيرهم سكبوا أنفسهم على مناهل المعرفة فشهدوا للإيمان أمام سيوف الفكر ومعاركه الطاحنة ، وتركزت أنظار البعض على جمال الفادى فانسكبوا عند صليبه فى حب غامر وانصات دائم .

وضعوا للطريق مبادىء ، ورسموا له معالم ، وكانوا هم الصور الحية التى جسمت هذه وتلك .

افتقروا عن كل شيء وتعففوا فوق كل شيء ، وأنكروا ذواتهم حتى صارت لا شيء ، وصار الرب لهم كل شيء . صارت رهبنتهم نظراً مركزا على الرب فى سعادة غامرة ، وقلوبهم مسبية به فى هدوء ، ومسالكهم رشيدة مستنيرة فى بساطة .

كان الآباء الأوائل على هذا النحو فى حياة ايجابية عيونهم دائمة الشخوص ، قلوبهم سباها الحب ، ومسالكهم فى دروب الصليب حيث امتزج الصبر بالنصرة ، والقوة بالتعفف ، داخلهم ينمو على الدوام ، وخارجهم فى سلام مستقر . هكذا خرجوا وقد أداروا ظهورهم إلى مشغوليات الحياة . خرجوا لا يلوون على شىء إلا الانصات له . وباركهم وشحنهم وصاروا أنواراً تنير إلى مدى الأزمان . هذا هو الحب ، وهذا هو الانفراد ، وهذا هو الالتزام الرهبانى .

على أنه ــ منذ البداية ــ كان هناك أمران يتداخلان فى حياتهم هما : الفروق الفردية ، والتدبير الإلهى . فمن حيث الفروق الفردية لم يكونوا جميعا صورة واحدة ، فكان منهم من لزم الانفراد وما أمكن للناس أن يتعاملوا معه طبيعيا فى الأمور الضرورية ولو كانت مقابلة أو طلب منفعة . ومنهم من أحب الأخوة ، وقبل الضيوف وأحس بالمجتمع وتجاوب معه . والكل صدقوا للرب ، وسعدوا ونموا فيه .

ومنذ البداية كان للرب اختيار وتوجيه للبعض ، فدعاهم لخدمات مختلفة . منذ البداية حدث هذا ، وعبر العصور استمر وبعض هؤلاء كان سلس القياد منذ اللحظة الأولى . والبعض الآخر خطا الخطوة الأولى مرغماً ، غير أنه ما أن حمل النير حتى قام بالمسئولية خير قيام ، وكان الجميع ثابتين على رهبانيتهم ، فقراء

بالحق ، عفيفين بالتمام ، منسكبين على عمل الرب انسكاباً كاملاً بقلب كامل السبى ، سواء رأوه فى صورته الذاتية الهاً محباً فادياً أو رأوه فى صور مختلفة جوعانا أو مريضاً أو طالباً خلاصاً ومعرفة .

والآن إلى كلمة هادئة يشهد الله عليها .

لقد نال كاتب هذه الكلمات بركة الإشتراك فى خدمات كثيرة قبل التحاقه بالدير . ويشهد الله أنه عند خطوة الانتقال إلى الدير ، كانت النية ألا يعود إلى العالم مرة أخرى . دون أى تصور لذلك فى يوم من الأيام . وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٨ . وما مضت إلا أيام قليلة كانت أسرع من الفكر ، حتى اختير بطريركاً مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس فى أبريل ١٩٥٩ . وجاءت الدعوة إلى الآباء المشتركين فى تدبير الدير لينزلوا إلى البطريركية ليشاركوا فى العمل الكنسى . والدعوة لكاتب هذا ليشترك فى حمل مسئولية الدير !!

تشبثت بالامتناع والاعتذار وبكيت بكاء مراً لا أذكر أنى بكيت مثله فى حياتى . اعتذرت عن صدق ، وتواريت فى أصرار وذرفت الدمع حاراً طالباً من الله أن يكسر عنى هذه الدعوة . وكنت واثقاً أنه فاعل . وكان كل ذلك قبل حفل سيامة البابا ، إذ كانت الترتيبات ورغبته كى يبدأ بالآباء المطلوبين للمعاونة فى مواقعهم .

أقول فى اختصار أن كل محاولاتى فشلت . وأنى غلبت على أمرى . غلبتنى كياسة ووداعة الأب الرءوم رئيس الدير نيافة الأنبا نيؤفيلس أطال المولى عمره ، كما من المنطق المفوه للآباء المدعوين للعمل فى البطريركية . وفوق الكل من داخلى حين سألت نفسى أيهما طريق الرهبنة ، التشبث بالرأى أم التسليم والطاعة .

وأبان فترة مشاركتى فى الخدمة فى الدير ، حدث أمر فريد ، لا أخال الكثيرين يذكرونه ، كان له فى نفسى أثر بالغ يستمر معى طوال حياتى . شرع نيافة رئيس الدير أن يصوغ للدير أو للرهبنة قانوناً . فوجئت به يمسك ببعض كتب انتقاها من المكتبة ، ويجلسنى أمامه من يوم إلى يوم ، ويملينى مواد قانون رهبانى . لم تحدث مفاتحة سابقة عن هذا الأمر ، وما جاء بعد تمهيد . وتوالت الجلسات بضع أيام . ولست أعلم أين هذه الورقات الآن . غير أنى وقد كنت قد اشتركت فى الخدمة التدبيرية للدير فترة ، رأيت أقامة قانون واضح أمراً أساسياً .

كنت سعيداً أشد السعادة فى تلك الأمسيات وثبت انطباعها فى نفسى على مر الأيام .

إن هناك مسألة هامة فى رهبانيتنا ، بل هى فى سائر أمورنا الكنسية . ألا وهى غموض التصنيف وغياب التقنين . فالرهبان والراهبات بحاجة إلى التصنيف ليعرف كل طريقه . وينال التدريب

اللازم لنوع طريقه . ويتطلب كل طريق معالم واضحة قاعدية . فيقل التطلع إلى السبل المختلفة ، وتذبذب القلب بينها ، وتنمو النفوس ناهلة من المناهل المناسبة ؛ ويقل التعرض للاهتزاز النفسى وينشأ الناس فى سلامة وعى ، وصدق مشاعر ويقل المزاج ، وما يشيعه من روح انتقاد أو يتطلبه من تدبير . يحتاج الرهبان والراهبات إلى تصنيف الأدوار ووضوح الطرق ومدارجها وتعلم خصائصها ولوازمها وأساليب تدبيرها .

وبعد سنوات قلائل جاءت خدمة الأسقفية فى بنى سويف وسرعان ما قدم بعض الشبان إلىّ أنفسهم ليتكرسوا للخدمة . وبنى الله لهم مكاناً ليمارسوا فيه حياتهم ولكنهم تفرقوا فى النهاية فى الطرق الكنسية الممهدة أمامهم إلى الأديرة أو الكهنوت أو غيرها ، ثم فتح الباب لجماعة نسوية . وأخذت تتلمس مواقع الأقدام ، وتطلب الأرشاد . وكان من الطبيعى ألا يعلن عن خطوة قبل ثباتها . فتسمت فى البداية « جماعة بنات مريم » وتحدثن عن البتولية والخدمة . ولم يكن الطريق سهلاً ، وكن رائدات فيه .

وعلى الرغم من أن الرؤية الخاصة كانت واضحة إلا أنه كان ضروريا أن تطرح المعالم أيضا للعامة والقيادات الكنسية المختلفة . واطرد التميز يوما بعد يوم . وفى بعض لقاءات الأعضاء الأوائل مع المتنيح البابا كيرلس السادس تم تحديد الزى ، واللقب « الأخت » والطريق : رهبنة . رهبنة خادمة تفتح الطريق أمام بنات الكنيسة

المشتاقات لهذه الخدمة . وبدأت الحركة واضحة وهادئة . ثم جاءت الاشارة الثانية للأعلان الكامل . فتحدد الاسم « دير بنات مريم للأقباط الأرثوذكس » .

وهناك أمران تلزم الأشارة إليهما :

الأول : أن الموضوعات التى ينشر بعضها فى هذا الكتاب هى فى أصلها مناقشات ، تطرح فيها الأفكار ، ويشترك الكل فى مناقشتها إلى أن تتحدد النتائج . ثم تصاغ فى درس . ولذا قد لا يجدها القارىء فى صورة موضوع يلقى ، تنساب أفكار المتكلم فيه فى خط معين من أوله إلى آخره . بل احتفظنا ببعض أسئلة فى نهاية بعض الموضوعات لتكون مثاراً لحوار أيضا . وقد حاولنا أن تتغير اللغة من صيغة المؤنث إلى الصيغ العامة .

والثانى : أن للدير قانوناً مبسطاً يحدد المبادىء ومعالم الطريق .

وجدير بالذكر أن الرهبنة فى الدير تأتى على أربع مراحل . الأولى التردد على الدير . فمن توسم فيها الدير أنه قد يكون الطريق طريقها ، يطلب منها التردد على الدير مرات ، تقيم فيها مع أعضاء الدير لفترات تعود بعد كل منها إلى بيتها . هذا الأمر الذى يساعدها ويساعد الدير على غربلة مشاعرها وأفكارها واستبيان مناسبتها للطريق .

والثانية الاقامة تحت الاختبار . وهى فترة طويلة تمارس فيها الأخت الحياة الديرية الكاملة . وتثبت نظم عبادتها العامة والخاصة . وتمر على مؤسسات الخدمات التابعة للدير تمارس العمل فى كل منها فترة . وبين الوقت والآخر يتدارس الأمينات أحوال الأخت ويسجلن ملاحظاتهن فى الدوسيه الخاص بها وتعلن بالآراء التى تقال فيها .

والثالثة بمرحلة الابتداء وتسمى مرحلة الارتباط فيها تتكرس الأخت قلبا وقالباً للدير . تبدأ بصلاة خاصة وعهود وزنار وتلبس الزى الأول — بيج — والرابعة بعد مدة أخرى حين يستقر الأمينات على رهبنة الأخت وهى مرحلة اقتران تصلى عليها فيها صلوات الرهبنة . وتلبس العناصر المعروفة على أن لون الثوب هو الرمادى كما تحدد منذ البداية .

والطريق واضح تواكبه التداريب اللازمة والتعاليم المناسبة . وتضع الراهبات أمامهن دائماً نماذج الذين سلكوا الطريق ولبوا نداء الرب فى خدمة الكنيسة .

وبعد انتقال المتنيح البابا كيرلس يرنو الراهبات باهتمام بكل قلوبهم وبشغف خاص إلى شخص صاحب القداسة البابا شنوده الثالث حفظه الله للكنيسة بركة وذخراً . فان قداسته فوق كونه بابا الكنيسة ورئيس أساقفتها ومدبرها بنعمة الله وحكمته ، يقف نموذجا فذا فى مضمار الرهبنة والخدمة . فأن كاتب هذا يعرف قلب

قداسته المفعم بالتبتل للرب والشغف بالأنفراد ، والاستيعاب العميق لأصول الطريق ومسالكه ، وتميز قداسته بالقدرة الفريدة لأيضاحه والريادة فيه . كما أعرف طاقته النادرة فى الخدمة ، وبذل الجهد فى قطاعاتها ومستوياتها وما يلزمها من معارف للحياة ، والعمل ، والتعامل ، والتدبير .

وكذلك يضع الراهبات أمامهن نماذج أصحاب النيافة الأحبار الأجلاء والآباء الرهبان الذين ينطلقون برهبانية أصيلة ، فى مدارج الخدمات فى أنحاء الوطن والخارج .

بركة صلوات الجميع تؤازر الدير ، وشفاعات السيدة الدائمة البتولية أمنا العذراء مريم تكون مع بناته اللواتى يحملن اسمها .

أثناسيوس
مطران بنى سويف والبهنسا
رئيس دير بنات مريم

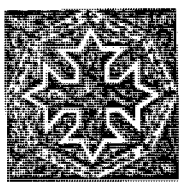

مقدمة ٢

فيما يلى بعض تأملات عن طريق الرهبنة الخادمة وردت بين موضوعات القيت ، وتطبيقات مورست بين راهبات دير بنات مريم الأقباط الأرثوذكس فى بنى سويف .

يضم الدير الآن عدداً مباركاً من الراهبات الخادمات يمارسن الحياة الرهبانية حسبما وضعها آباء الكنيسة الأوائل وحسب تعاليم آباء الكنيسة والرهبنة المعاصرين بهدف النمو الروحى عن طريق الحياة الفردية والجماعية المشتركة ويلبين طلبات المجتمع العام والكنيسة كجيش شعبى عامل مثلهن الأعلى الرب يسوع الغاية العظمى كما تشير اليه كلماته : « لى صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل » (لو ١٢:٥٠) . « ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل » (يو ٩:٤) أنها دروس درست فى الدير ، وأوردت هنا بتعديل بسيط . وهى ليست كتاباً يقرأ من أوله إلى آخره . بل مواقف تأملية فى الطريق الذى اختاره الرب لهن تدرس ، وتفحص النفس فى ضوئها ، وتطبق وتعاد العملية من وقت لآخر .

وقد وضعنا كل مجموعة من الدروس فى باب يضمها ويحسن أيضا أن يقف القارىء فى نهاية كل باب ليعيده قبل أن يتقدم إلى غيره . نكتبها لأحبائنا سائلين الله أن ينفعنا بها .

ببركة صلوات صاحب القداسة البابا المعظم أنبا شنودة الثالث الذى يولى الرهبنة عناية قداسته الخاصة ، بالتعاليم الروحية ، والتوجيهات المتوالية . الذى يشبع الرهبان باختباراته فى الانفراد والامتلاء بروح الآباء الأوائل ، كما أنه المثال النادر الذى يحتذى فى العمل المتواصل والبذل المتفانى فى خدمة الكنيسة والمجتمع .

إلى مقام قداسته نتقدم بالطاعة والولاء طالبين كريم دعائه وإلى أصحاب النيافة أحبار الكنيسة وسائر من خرجوا تفرغاً لخدمة الرب فى طرق العبادة والخدمة .

لألهنا المجد والكرامة ومنه الارشاد إلى أبد الآبدين آمين .

دير راهبات بنات مريم
ببنى سويف

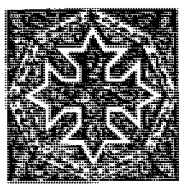

محتويات الكتاب

صفحة

اهداء ٥

مقدمة ١ الرهبنة والخدمة نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف ٧

مقدمة ٢ دير راهبات بنات مريم ببنى سويف ١٦

الباب الأول ــ معالم الطريق

درس ١ ماهية الحياة الرهبانية ٢٠

درس ٢ العبادة والعمل ٢٧

درس ٣ المحبة الأخوية ٣٤

درس ٤ الروح الديرية ٤١

درس ٥ بين السلوك والقلب ــ الداخل والخارج ٤٥

درس ٦ فحص النفس ٤٩

درس ٧ السلوك الروحى والسلوك الجسدى ٥٥

درس ٨ الجسد والنفس والروح ٦٢

الباب الثانى ــ الروح الواحد

درس ٩ الشركة الروحية فى المسيح ٧٩

درس ١٠ روح الجماعة ٨٩

درس ١١ الالتزام بالشركة ٩٤

درس ١٢ التفاهم فى الجماعة ٩٨

صفحة

الباب الثالث ــ صور من هذه الحياة

درس ١٣ التدبير الرهبانى ١٠٨
درس ١٤ الجماعة المستقرة ١١٨
درس ١٥ الخدمة والمواهب والمحبة ١٢٧
درس ١٦ طرق دراسة الكتاب المقدس ١٣٧
درس ١٧ صلاة المزامير ١٤١
درس ١٨ صلاة التسبحة ١٤٨

الباب الرابع ــ معلمون مختلفون

درس ١٩ السيدة العذراء ١٥٢
درس ٢٠ آباء الرهبنة والخدمة ١٦٥
١ ــ القديس الأنبا أنطونيوس ــ أب الرهبان
٢ ــ القديس الأنبا باخوميوس ــ أب الشركة
٣ ــ القديس الأنبا شنودة ــ رئيس المتوحدين
درس ٢١ قديسون آخرون ١٧٦
درس ٢٢ نداء العصر ١٨٧
درس ٢٣ دير راهبات بنات مريم ببنى سويف ١٩٤

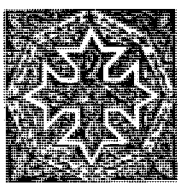

الباب الأول ــ معالم الطريق

الدرس الأول ــ ماهية الحياة الرهبانية

الحياة الرهبانية حياة تمجيد وشهادة للمسيح . وان كان لازما للمؤمن العادى أن يشهد للمسيح فى الظروف والمواقف التى تحتاج إلى شهادة ، فعلى النفوس التى تكرست أى تخصصت للمسيح التزام دائم بها . وليس الالتزام فيها بالشهادة مجرد دافع انطلقت به إلى الطريق ، أو موقف تقفه فى ظرف ما لأن الذين تكرسوا لله صاروا جنودا ملتزمين برسالة خاصة ذاتية ودائمة . ووضعوا على أنفسهم مسئولية أن يغلبوا العالم بالمسيح الذى فيهم ويملأ كيانهم . من أجل ذلك يحتاجون أن يدربوا أنفسهم على التجرد والتخلى عن كل شىء فى العالم .

ولعلهم يصلون إلى ذلك بمراعاة بعض مبادىء أساسية نبسطها فيما يلى :

١ ــ **التبعية** : يبدأ الطريق بتسليم الحياة لله وتظل النفس تمارس حياة التسليم بفرح فيقودها الرب يسوع إلى حياة الالتزام . يقول الحكيم : « يابنى أعطنى قلبك . ولتلاحظ عيناك طرق » (أم ٢٣:٢٦) .

وليس التسليم مجرد موقف مرة واحدة يسير بعدها كل شيء هادئا . بل هو حياة نمارسها كل يوم .

فعلى النفس أن تثبت ذاتها كل يوم فى تسليمها لله بلا تحفظ متخلية عن قيادتها ، مرتمية فى أحضانه يتعهدها هو ويعمل فيها حسب مشيئته . يمسك بإرادتها ويجعلها حسب إرادته ، وبذلك تجد سعادة فى أتمام مشيئته ، وتستريح لفعل النعمة ، وعمل الروح القدس الذى يسرى فى داخلها . فتتقدم فى طريق الاستنارة وتفرح باكتشاف ضعفاتها وخطئها ، ولا تبرر ذاتها .

قال شيخ :

« سيرة الراهب هى : « الطاعة ــ الهذيذ فى ناموس الله الليل والنهار ــ لا يدين ــ لا يغضب ــ لا يتكلم ــ لا يبصر بعينيه سرا ــ لا يبحث عن عيوب الناس ــ لا يسمع بأذنيه نقائص الآخرين ــ لا يخطف بيديه ــ لا يستكبر فى قلبه ــ لا يملأ بطنه ــ لا يفتكر أفكار سوء ــ لا تكن له دالة ولا مزاح مع أحد ــ ويعمل أعماله بمعرفة ... »[1] .

٢ ــ **حياة التوبة** : ان حياة الراهب حياة توبة داخلية دائما ، وسعى متواصل نحو الله يستمر كل الأيام .

---

(١) بستان الرهبان الطبعة الثانية ص١٢٦ .

« إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣:١٣،١٤) .

وعملية النقاوة تفوق علم الإنسان . وهى من اختصاصات الله وحده لأن الجهادات البشرية لا تنفع دون فعل الله . فالحياة الرهبانية امتداد إلى الأمام ، لا تعرف الوقوف لأن الله غير المحدود ، مالىء السموات والأرض ، هو الحقيقة الوحيدة التى لا يشبع منها . وفى التوبة الدائمة جوع إلى الله وعطش اليه لا حد له . وكما أن لذة الله هى فى الإنسان . « كنت عنده صانعا وكنت كل يوم لذته فرحة دائما قدامه . فرحة فى مسكونة أرضه ولذاتى مع بنى آدم » (أم ٨:٣٠،٣١) .

هكذا الإنسان لا يجد لذة ولا شبعا إلا فى الله وحده .

« لو لم تكن شريعتك لذتى لهلكت حينئذ فى مذلتى » (مز ١١٩:٩٢) .

« عطشت نفسى إلى الله إلى الإله الحىّ . متى أجىء واتراءى قدام الله » (مز ٤٢:٢) .

« ياالله إلهى أنت . إليك أبكر . عطشت إليك نفسى يشتاق إليك جسدى فى أرض ناشفة ويابسة بلا ماء » (مز ٦٣:١) .

قال مار اسحق :

« التوبة هى باب الرحمة المفتوح للذين يريدونه وبغير هذا الباب لا يدخل أحد إلى الحياة » .

وقال أيضا : « مبدأ التوبة هو الاتضاع الذى بلا ندى كاذب مشوش » .

« من زل وأخطأ وعرف سبب مرضه فإنه بسهولة يشفى بالتوبة » .

وسئل الأنبا بيمن : ما هى التوبة ؟

أجاب : التوبة هى الاقلاع عن الخطية وأن لا يعاود الإنسان فعلها .

٣ ــ **الاكتفاء به** : النفس المتمسكة بملذات العالم تفتقر يوما بعد يوم ، فتفقد حريتها وقوتها وبدلاً من أن تجد سعادتها تصل إلى التعاسة . وإن لم تواظب النفس على السعى نحو الله تضل وتظلم . فعطش النفس إلى الله لا حدود له ولذلك لا يرويه إلا الله وحب الله له .

سؤال : إن كانت النفس تريد الله وتحبه فكيف تنمو فى هذا الحب ؟

الجواب : إن الله الذى أحبنا بذل نفسه لأجلنا وأعطانا خلاصاً وحياة أبدية مقدما نفسه ذبيحة على الصليب . وطريق التلمذة هو : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر

نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦: ٢٤، ٢٥) .

فلكى أنمو فى محبة يسوع لابد أن أقدم ذاتى ذبيحة على صليب يسوع المحيى بأن أموت عن العالم لأقوم فى المسيح فتكون لى حياة أوفر فيه . ولقد كان الموت قبل المسيح يعنى عدم الحياة ، وبعد قيامة المسيح صار موته مصدراً للحياة . ونحن لكى نحيا فى المسيح يجب أن نموت عن الخطية .

خلق الله الإنسان على صورته ومثاله ، وكان الإنسان منسجماً بطبيعته مع الله فى الفردوس . ولكن الخطيئة حطمت هذا الانسجام فأصبح الله مصدر خوف وقلق بدلاً من أن يكون ينبوع وجود وسعادة . فأصبح الكون مكان عمل وكد وتعب ، بدلاً من أن يكون فردوساً . وصار صراع وانقسام فى الطبيعة الإنسانية ذاتها : العقل ضد العاطفة ، والإرادة ضد الجسد وهذا لم يكن حادثا من قبل .

لكن بمجيء الرب يسوع وبصلبه سحق رأس الحية ، وحطم سياج العداوة القائم بين الله والإنسان ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، وفى الإنسان ذاته بين الخير والشر ، وأعاد السيد المسيح وحدة الإنسان ليكون على صورة الله ومثاله « لأنه

هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنسانا واحداً جديداً صانعاً سلاما . ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به » (أف ٢:١٤ــ١٦) .

وأن كنا نولد بالطبيعة المتصارعة ، وتدوم فينا . إلا أن الرب الذى سكن فينا ، هو أقوى منها . وعلينا الالتزام به ، لأنه كفايتنا ، وهو كفيل بضبط عناصرها فيه .

« وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه . لأنه ان لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شىء . أيها الأحباء أن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله » (١يو ٣:١٩ــ٢١) .

٤ ــ **العهود** : إدراك الحياة الجديدة يؤدى إلى التزام بالرب ، والشهادة لفعله فينا . والرهبانية تمسك دائم بهذا الالتزام من كل الفكر ، والارادة ، والأحاسيس .

اذن فالراهب الذى يحيا حياة الشهادة للمسيح هو الذى يتبع المسيح متواضعا فى الطريق ، حاملاً صليبه لكى يقتنى تلك الوحدة بصلبه الجسد مع الأهواء والشهوات فيقوم مع المسيح . « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا

فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان . إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » . (غل ٢ : ٢٠) وبذلك يكون قد حقق انتصاره على العدو ، وغلب العالم ، وشهد للمسيح . متمما ذلك بواسطة فعل النذور الرهبانية الثلاثة ... العفة والفقر والطاعة .

وهذه النذور ليست تفضلا أو وفاء دين لكنها حياة نحياها متمتعين بها بالمسيح الحىّ فينا .

طريقنا بقوة الرب هو :

نتبع الرب

نتنقى بالرب

نكتفى بالرب

نلتزم بالرب

تأمل :

١ ــ فلنتأمل كلا من هذه المبادىء ونفحص نفوسنا ازاءه ، ونكتب ملاحظاتنا عما يجب علينا عمله .

٢ ــ نكرر ذلك من وقت لآخر فى حياتنا فى الدير . فهى عناصر للطريق لا يظن الإنسان يوما ما أنه أتقنها .

٣ ــ فلنقرأ العهد الذى سبق أن تعهدنا بكلماته أمام الهيكل . ونطلب من السيدة العذراء أن تستر جهادنا بشفاعاتها القوية المقبولة .

الدرس الثانى ــ العبادة والعمل

الرهبنة عبادة وعمل كما أن الإنسان عقل وجسم . العقل بلا عمل يؤدى إلى حياة نظرية ، والعبادة بلا عمل تؤدى إلى الشعور بالبر .

العمل والعبادة أساس الطريق . العبادة نظر إلى الله وتأمل فى وصاياه . والعمل تنفيذ لهذه الوصايا ، يضعها فى موقعها من الحياة العملية فتكون هناك توبة متجددة ، ويكون نمو فى الحكمة . وقد جمع الرب بين الاثنين معا حين قال : طوبى لمن يعمل ويعلّم .

« فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » (مت ٥:١٩،٢٠) .

هذا وفى السير الواقعى للحياة الروحية نجد العمل والتأمل متداخلين مترافقين فلا يوجد فصل كامل بين الحياة التأملية والحياة العاملة بصورة قاطعة ، فالمسيحى بوجه عام والراهب كمسيحى إنما يقدم حياته فى الرب ذبيحة متكاملة ، يشترك الجسد مع الفكر والنفس ، ويعمل الكل معا بتناغم وإنسجام ؛ فإن قدم عملاً عادياً يمزجه بالعبادة وإن تعبد للرب لا يفصله عن العمل أيا كان نوعه !

هذه الحياة يعيشها كثير من الجماعات الرهبانية ، على اختلاف أنواعها التى وان انصرفت إلى ممارسة أعمال الرحمة ، تترك نصيبا وافراً للصلاة والتأمل كوسيلة لتقديس النفس وتمجيد الله .

أين يبدأ العمل ؟

يبدأ العمل أولاً داخل الدير عن طريق خدمة الدير وخدمة الرهبان ويتدرب الراهب على كل الأعمال التى يعرفها ، والتى لا يعرفها وليس من المهم أن يتخصص فيها إنما المهم هو محاولة الاتقان لأن هذا يجعل الراهب صغيرا خصوصا إذا كان يعمل مع راهب أصغر منه . وفى كل أنواع الرهبانيات نجد العمل ركنا أساسيا . وقد يستغرب الراهب فى بداية الطريق للاهتمام الذى فى الدير لممارسة العمل وبعد أن يتعود الراهب على العمل اليدوى باجتهاد يبدأ ان يدرك المنافع الروحية التى يحصلها من ممارسة العمل ، مثل :

١ ــ الأحساس بالأخوة وبأتعابهم .

٢ ــ اكتشاف الأخ لنقائصه وأخطائه وسعيه للاتقان باتضاع ووداعة .

٣ ــ النمو فى الفضيلة .

فالتأمل ينمى حب الله ، والعمل ينمى حب القريب ، وكلاهما يكمل الناموس فى توازن فاعل حىّ من أجل النمو .

إلى عهد قريب فى دير البراموس[1] كان يوجد راهب طيب القلب وأب للرهبان جميعهم يسمى أبونا عبد المسيح المسعودى . كانوا يرسلون له الراهب الجديد ليمرنه على الفضائل المسيحية فكان أول عمل يأمره به هو كنس الدير . فكان الراهب يكنس الدير الذى مساحته فدان ونصف تقريبا . إلى أن يتعب ويدوخ فى آخر النهار . فيذهب لأبونا عبد المسيح ويسأله عما يفعله بعد ذلك . فيقول له : اذهب ورش الدير كله بالمياه . ويمكث الراهب الجديد ما يقرب من ثلاثة إلى أربعة شهور بالدير دون أن يحفظ مزمورا واحدا . وعندما يذهب إلى الكنيسة مع الأخوة للصلاة وتوزع المزامير فلا يستطيع أن يشترك معهم لأنه لم يحفظ شيئا . فيسألونه : « لماذا لا تشترك معنا ولماذا لم تحفظ المزامير ؟ ألم تحفظ مزمورا واحدا ؟ » فيحكى لهم قصته مع أبونا عبد المسيح . وعندما يذهبون ليسألوا أبونا عبد المسيح عن قصة هذا الأخ ، وعدم تمرينه فى الرهبنة ، وعدم حفظه للمزامير وقد مضى عليه ستة أشهر و لم يحفظ مزمورا واحدا فيرد عليهم قائلاً :

« ياأولادى نعلمه الاحتمال هذه السنة والسنتين المقبلتين يتعلم الطاعة ثم بعد ذلك يتعلم التواضع والمزامير لسه بدرى عليها » .

---

(١) من عظة لقداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث عن الغضب فى كنيسة الملاك ميخائيل بدمنهور سبتمبر سنة ١٩٦٥ .

قيل عن الراهب لورانس[1] : إنه اشتغل كخادم فى مهام متعبة وزاول عمله فى المطبخ خمسة عشر عاماً ، وقد عود نفسه أن يعمل كل شيء لأجل محبة الله فوجد نفسه يعمل كل شيء فى سهولة . وقد قال عن نفسه : « ان وقت العمل لا يختلف عندى عن وقت الصلاة . وفى وسط ضجيج المطبخ يشملنى الله بسكون عظيم كما لو كنت راكعاً عند تناول الأسرار المقدسة » .

يقول مار اسحق : « الأعمال الصالحة والتواضع يجعلان الإنسان الها على الأرض . طوبى للإنسان الذى يعرف ضعفه ، لأن هذه المعرفة تكون أساساً ومبدأ لكل صلاح وفضيلة » .

محب العمل هو من لا يحب راحة الجسد ، بل لا يحب مفاوضات الجسد ومحادثاته . لكن ليس كل من كانت أعماله قليلة هو محب للراحة ، ولا كل من كانت أتعابه كثيرة هو محب للأعمال .

وهناك من لا يمكنه القيام بالأعمال الكثيرة بالجسد لأجل ضعف صحته ، فيوفيها بعمل القلب والعكوف على نفسه ضابطا أفكاره لئلا تتواثب عليه وعلى نفسه آلام الجسد .

+ مرة زار أحد الأخوة الأب سلوانس فى جبل سيناء ، فلما رأى الأخوة منكبين على العمل قال للشيخ : « لا تعملوا للطعام البائد

---

(١) كتاب اختبار الوجود فى حضرة الله ص٢٦ .

أيها الأب ، لأن مريم اختارت لها الحظ الصالح » .

فقال الشيخ لتلميذه : « اعط الأخ انجيلا وادخله فى قلاية فارغة » . فعمل . فلما حانت ساعة الأكل بقى الأخ منتظرا على الباب مترقباً وصول من يسأله المجىء إلى المائدة . فلما لم يدعه أحد ، نهض وجاء إلى الشيخ وقال له : « أما أكل الأخوة اليوم ياأبانا ؟ » أجابه : نعم . فقال له : ولماذا لم تدعنى للأكل معهم ؟ فأجابه الشيخ : « ذلك لأنك روحانى ، لست فى حاجة إلى طعام ، وأما نحن فجسديون نحتاج إلى طعام ولذلك نمارس الأعمال . أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح تقرأ النهار كله ، ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاما » .

فلما سمع الأخ هذا الكلام خرّ ساجدا وقال :
« اغفر لى ياأبانا » فأجابه الشيخ : « لا شك أن مريم تحتاج إلى مرثا . لأن مريم بمرثا مدحت »[1] .

فى أحد خطابات أب دير بنات مريم لأحدى بناته وهى فى أحد الأقطار الخارجية حين بدا عليها مظاهر التعب والقلق الشديد جاء ما يلى :

« أما بخصوص العمل فنحن لا نشمئز من أى عمل مهما كان حقيرا . فنحن أولاد النجار . والنجارة لم تكن عملاً

(١) بستان الرهبان الطبعة الثانية ص٢٠٦ ، ٢٠٧ .

روحيا . وابناء الخيّام (بولس) وصانعى القفف (الرهبان) والمحبين للخدام لمجرد الشهادة للرب كأخوات يسوع الصغيرات . وهناك رهبان ليس لهم عمل إلا التدريس . ولكنهم فى حب يعملون ويشهدون للرّب . ونحن لنا البركة ان كنا تابعين لأى من هذه الفئات السابقة .

أن عملك فى الكتابة والاجتماعات ليس هو العمل الكريم وحده ، بل ان الكنس والمسح وتنظيف المريض الفقير وتعليم الجاهل بمحبة هى أعمال كريمة جدا . اذكرى كيف أحبك الرب . اذكرى كيف حاربك العدو فى بداية التكريس بفكرة العودة للتدريس فى الحكومة . اذكرى تصوراتنا عن المستقبل . انتظرى بسكوت خلاص الرب . ولا تثورى على الأوضاع غير المناسبة بتركها بل بالعمل على الشهادة للرب فى وسطها ولو بأضاءة شمعة واحدة فى الظلام الدامس ولو انطفأت من وقت لآخر فى العاصفة ، أوقديها وأوقديها حتى تهدأ العاصفة وتكثر الشموع ويتحول المكان إلى بقعة نور فى الظلام يهدى الناس إلى أن يطلع الفجر » .

« **يهدىء العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها ، فيفرحون لأنهم هدأوا ، فيهديهم إلى المرفأ الذى يريدونه** » (مز ١٠٧) .

+ قال الأب لوط : « الراهب الذى لا يمارس عملاً يدان كإنسان نهم مغتصب » .

+ قال أحد القديسين : « إن الآباء سلموا لنا هذه الطريق وهى : أن نعمل بأيدينا ــ وأن نلازم الصمت ــ وأن نبكى على خطايانا » .

+ قيل أن أحد الرهبان كان يشتغل فى يوم عيد أحد الشهداء ، فلما أبصره آخر قال له : أيجوز اليوم العمل ؟ أجابه أن الشهيد فلان قد عذب فى هذا اليوم وجلد وتجشم أتعابا كثيرة حتى الموت . الا ينبغى أن أتعب أنا قليلاً فى عمل يدى ؟! »[1] .

+ قال مار أفرام : فاتحة العجرفة هى عدم مشاركة الراهب لأخوته الرهبان فى العمل حسب قدرته .

+ سئل أحد الآباء : أى شىء يلزم لمن يريد الخلاص ؟ وإذ كان الأب ملازما العمل لا يرفع رأسه عنه أجاب : هذا هو ما تراه[2] .

+ قال مار اسحق : « كما يشفق الأب على ابنه هكذا يشفق المسيح على الجسد العامل ، فهو قريب من فمه كل وقت » .

تأمل :

تأمل التكامل بين العبادة والعمل .

اكتب بعض تصوراتك لفوائد تلازمهما وتأملاتك فى أقوال الآباء التى وردت فى هذا الدرس .

---

(١) بستان الرهبان الطبعة الثانية ص ٢٠٥ .

(٢) بستان الرهبان الطبعة الثانية ص ٢٠٧ .

الدرس الثالث ــ المحبة الأخوية

« وأما المحبة الأخوية فلاحاجة لكم أن اكتب اليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضا فانكم تفعلون ذلك أيضا لجميع الأخوة » (اتس ٤:٩ــ١٠)

ماهى سمات المحبة المسيحية ؟

المحبة المسيحية تفكير فى الغير . المحبة صريحة . المحبة متفانية . المحبة تقدير للغير . المحبة لا تتفاخر . المحبة تضحى .المحبة هى التعاون . المحبة هى احتمال . المحبة ثابتة لا تتأثر بآراء الغير ونحن يمكننا أن نطبقها على محبة الناس جميعاً من ناحية ، ومن الناحية الأخرى يكون ميدانها الأول المحبة التى للأخوة فى حياة الشركة . وعلامات هذه المحبة : ــ

١ ــ تحب قريبك كنفسك :

فالمحبة المسيحية هى أن يحب الانسان الآخر كما يحب نفسه . والوصية القديمة واضحة « تحب قريبك كنفسك » (لا ١٨:١٩) ولم يقل « تحب قريبك كأخيك » لأنه قد يقع الانسان فى عدم محبة الأخ ولكنه لا يقع فى عدم محبة نفسه الا اذا اختل تفكيره . لذلك لما سئل الرب يسوع

« ومن هو قريبى » (لو ١٠ :٢٩) أعطى مثل السامرى الصالح . فلاشك إن السامرى كان يحب نفسه . يحب أن يرى جسده سليماً ، ونفسه هادئة فى سلام . والرجل الذى وقع بين اللصوص كان يحب نفسه وكان يرغب أن يضمد جراحات جسده . لكن الكاهن تركه وكذلك اللاوى لأن كليهما لم يكونا يحبانه كأنفسهما . أحبا السلامة لذاتيهما ولم يحباها للرجل . ولو حدث هذا الاعتداء على الكاهن لأحب أن يعالج نفسه ويشفى ولكنه لم يحب ذلك الرجل المعتدى عليه كنفسه بل « رآه وجاز مقابله » (لو ١٠ :٣١) وفى نهاية المثل سأل الرب يسوع الناموسى « أى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ . فقال الذى صنع معه الرحمة » (لو ١٠ :٣٦ــ٣٧) أى أن السامرى جعل من ذلك البعيد قريباً وصنع معه ما يجب أن يعمل مع نفسه .

فالمحبة المسيحية هى أن أحب للغير ما أحبه لنفسى وأن أعمل مع الغير ما أحب أن أعمل لنفسى . ويقول معلمنا بولس الرسول « المحبة لا تطلب ما لنفسها » (١كو ١٣ :٥) أى أنها تعمل للغير وليس لنفسها . وقال أيضا : « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضا » (فى ٢ :٤) . واعطى الرب نفسه

مثالاً حين نظر الينا وضحى من أجلنا . فالمحبة الاخوية هى فعل الخير الكامل للجميع . « فلنحذر اذن أن نفكر فى أهانة الغير بعاطفة السخط والغضب ، وابداء اضطراب النفس بتقطيب الوجه وبأقوال قاسية ، واجتناب ملاقاة الأخت الفلانية عن عاطفة نفور اختيارية ، أو صرف أخت تأتى الينا بعنف وقسوة لأنها لا ترضينا ، أو عدم احتمال راهبة بطيئة فى حركاتها أو أخرى لاتلبى حالاً طلباتنا ... هذه كلها أفعال لا ترضى الله ، لأن كل ما نفعله ضد القريب نفعله فى الواقع ضد يسوع المسيح نفسه . »[1]

٢ ــ المحبة لا تطلب عوضا :

ولو كانت المحبة تشترط تعويضا لما كانت محبة مسيحية لأن طلب العوض يعوق تدفق المحبة . قال السيد فى العظة على الجبل : « أن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم » . (مت ٥:٤٦) أما نحن فلنحب ونخدم الجميع ونزداد فى كل عمل صالح .

من أجل ذلك اهتمت المسيحية منذ نشأتها بميادين رعاية المرضى والعناية بالأسرى ، وأخرجت للعالم الجماعات الرهبانية الخادمة أى الذين يقدمون الخدمة لغير مصلحة إلا

(١) كتاب الناذرات لمؤلف « الشذرات الذهبية » و« كتاب المبتدئات » بيروت ١٩٥٨ فى واجبات الحالة الرهبانية . ص١٦٢

شهادة المحبة . والرهبنة الخادمة عجيبة فى هذه الناحية لأنها تعبر عن التفانى من أجل خدمة الآخرين تعبيراً عن المحبة الإنسانية الخالصة .

٣ ــ المحبة طويلة البال ومملوءة حناناً « تتأنى وترفق » .

جاء أحد الأخوة إلى شيخ من الرهبان وشكا أخاه قائلا : ماذا أصنع ياأبى فإن أخى يحزننى .

قال الشيخ : احتمله ياحبيبى فإن الله قادر أن يرده اذا رأى قلبك وصبرك واخذك له بالرفق واللين . إياك والقسوة فإن شيطانا لايطرد شيطانا ، وبرفقك وصبرك يرجع .[١]

قال انبا أوغريس :

الوديع ولو صنعوا به الشر فلن يتخل عن المحبة[٢] .

والخدمة مليئة بالصعوبات خصوصاً تلك التى تنشأ ممن أخدمه بلا مقابل . وهنا لزم أن تظهر المحبة الحقيقية فى الاستمرار فى الخدمة والمحبة على الرغم من الصعوبات التى يسببها من أخدمه . والمحبة تتأنى وترفق . تتأنى حتى يأتى إلى الحق من نخدمه ونحبه ، وتستمر حتى إذا لم يأت إلى الحق . فالمحبة تقتضى فعل الخير إلى النهاية وهكذا « المحبة لا تسقط أبداً » .

---

(١) البستان ص٤٣٢ .

(٢) البستان ص٤٣٣ .

٤ ــ المحبة وديعة منكرة للذات « لا تتفاخر ولا تنتفخ » .

المحبة تقتضى التواضع لأن الأفتخار ليس من المحبة . الأفتخار معناه الشعور بالذات ، ومعناه أيضا احتقار الغير . أما المحبة فيجب أن تكون مملوءة تقديراً للغير وللإنسانية . وهذا يقتضى احترام الناس وتقدير مواهبهم .

٥ ــ المحبة تفرح بالحق .

وفى ميدان الجماعة فى الدير يجب أن نكون فى فرح دائم فالمحبة تفرح بالحق ، والحق هو المسيح الذى فى الأخوة . إذن فإننا نفرح به فيهم والمحبة تطرد الحزن والخوف إلى خارج وتملأ الإنسان حيوية وفرحاً وايجابية . المحبة لا تتفق مع السلبية ولذا يجب أن أكون فى الجماعة محبا للفرح ليس أن أحب واحداً دون آخر ، أو عملاً دون آخر بل الكل أمامى مملوءون نعمة وأنا أحب الكل .

وهنا يجب أن نفرق بين المحبة والميل . فالميل مزاج ، كأن يكون واحد يميل لآخر استلطافاً له أما المحبة فتقتضى الاهتمام بمن لا أميل إليه . وأعاون من لم استلطفه . وأتعب من أجل من لا يظهر لى المحبة ليس لكى أكسبه بل لأن المحبة تقتضى أن أفعل هكذا . وهناك المعنى الآخر لكلمة الحق فأن الله وضع فى كل إنسان استعدادات فاضلة . والمحبة تقتضى رؤية

هذه الصفات والفرح بها ، ثم التعامل معها ، وذلك ينمى الفرح للطرفين ، ويجعلنا نرى يد الله ونمو النعمة فى الناس .

+ **قال سمعان العمودى :**

لتكن أسماء الأخوة حلوة فى فمك ومناظرهم جميلة محبوبة فى عينيك وخدمتهم سهلة ميسورة فى يديك[1] .

+ **وقال الأنبا بيمن :**

الذى يسكن فى الكنونيون (حياة الشركة) ينبغى أن يكون جميع الأخوة عنده واحداً فى المحبة وأن يحفظ لسانه وعينيه وحينئذ يكون فى راحة[2] .

٦ ــ المحبة لا تحتد ولا تقبح :

والمحبة فى الجماعة تكون مملوءة هدوءاً فالأديرة مكان الهدوء أما الجو الصاخب فهو خروج عن المسيحية الأولى . أما فى الدير فنحن نطبق مبدأ « المحبة تتأنى وترفق » . « ولا تحتد ولا تنتفخ » لأن الراهب يسعى نحو انكار الذات أما الأعمال الأخرى فهى تثبيت للذات والرسول بولس يقول : « ... تحرصوا على أن تكونوا هادئين » (١تى ٤:١١) .

---

(١) البستان ص ٤٣١ .

(٢) البستان ص ٤٣١ .

تأمل :

١ ــ المحبة تفوق المواهب الروحية بدليل قول الرسول : « جدوا للمواهب الحسنى وأيضا أريكم طريقاً أفضل » (١كو ١٢ : ٣١) .

أى المواهب يقصد ؟

ما فائدتها ؟ ولمن هى ؟

لماذا تكون المحبة أفضل منها ؟

تأمل الآيات الأولى فى الاصحاح (١كو ١٣) .

٢ ــ ادرس المحبة حسب صفاتها المذكورة اكتب ملاحظاتك عن نفسك طبقها على نفسك وليس على غيرك .

الدرس الرابع ــ الروح الديرية

تحيا الجماعة الرهبانية فى وحدانية الروح هذه التى يقول عنها الرسول « مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام » (أف ٤:٣) أى مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح . والاسراع معناه اننى إذا وجدت تعكيرا فى جو المحبة اسرع إلى اصلاح الموقف واصنع سلاما بين الأخوة بأن أنقل كل كلمة صالحة للبنيان وانطق بكل ما يهدىء النفوس فى الوقت المناسب .

والراهب المملوء وداعة ، النشيط ، الصانع السلام هو المملوء نعمة . والنعمة مياه رطبة تسرى إلى النفوس ، ودهن طيب يضمد ويلين . والناس الذين يبنون النفوس دائماً على هذه الصفة مثل موسى النبى « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » . (عد ١٢:٣) والحكيم يقول : « الجواب اللين يصرف الغضب » (أم ١٥:١) . وقال الأنبا أغاثون : **لو ان الغضوب أقام أمواتاً فما هو بمقبول عند الله ولن يقبل اليه أحد من الناس** . (البستان ص٣٥١) .

ولذا فالمحبة الأخوية ليست كلاما بل هى حياة نعمة ومحبة فى سائر الأمور . وهى كاملة الاخلاص ، صريحة مملوءة تعاونا مع

الجميع ، وفرحاً بالجميع ، وسلاما وهدوءاً مع الكل . ولا يجوز أن يقول أخ أنه يكفى أن أحب البعض وأتعامل معهم أو أننى أعمل كثيراً للدير ولكننى فى نواحى التعامل مع الأخوة لا استريح للبعض منهم . وأننى أعمل بغيرة واخلاص لذلك أقسو على البعض .

بل لنعلم جميعا أنه لا فائدة للخدمة بدون المحبة . ولا تثبت المحبة إلا فى جو هادىء . وقد أوضح الرسول فى (١تس ٤:١١) « أن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم » . أى أن المحبة والهدوء هما الروح والجو العام الذى يسود الجماعة على أن هذا لا يتعارض مع التنظيم والاجتهاد فليس مجمع الرهبان مجمع كسل .

والمحبة المسيحية محبة عاملة ونحن نأتى إلى هذا المجمع ونحيا فى رباط كأعضاء جسد واحد وهو وضع يختلف عن وسائل النمو فى حياة الوحدة .

+ لقد أتيت أيها الأخ المبارك إلى هنا وصرت عضوا فى الجماعة لست شجرة منفردة بل صرت الآن شجرة فى بستان منسق حسب نظام ، كل وردة فيه وكل نوع بل كل ممر بين الخضرة منسق حسب نظام يعطى صورة متكاملة واحدة .

+ لقد صرت عضوا فى جسد واحد ولكل عضو عمله ولكن الأعضاء كلها متكاملة العمل ، سعيدة بالترابط ، منتجة بتناسقها تزداد نموا بعملها المشترك .

+ لست وحدك من الآن . هل تعرف تصورات الفتى والفتاة قبل الزواج . أنهم ينظرون إلى الزواج على أنه بداية الحرية حيث يكون لهم بيت مستقل وكيان حر ينمون فيه . ولكن الزواج فى الحقيقة هو حياة التنازلات وبداية النمو دائماً هو التنازلات .

+ افرح بالجماعة ولا تتذمر من النظام . لقد دخلت فى جماعة تلاميذ الرب وما أحلى التلمذة له . وما أجمل الوجود وسط جوقة المرنمين له والمجندين لخدمته .

+ أنت بين جماعة خادمة . فأحب الغير من كل قلبك « لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل تحب قريبك كنفسك . فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضا فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضاً » (غل ٥:١٥) « من يحب نفسه يهلكها . ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية . إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى وحيث أكون أنا هناك يكون خادمى » . (يو ١٢:٢٥،٢٦) .

سئل القديس الأنبا أنطونيوس : هل جيد للراهب أن يكتفى بذاته فلا يأخذ من الأخوة ولا يعطيهم ؟

أجاب : إن تصرف الراهب هكذا فهو يعيش بلا اتضاع ولا رحمة ويبعد بذلك عن الخيرات المعدة للمتضعين والرحماء .

وقال أيضا : ان حياة أو موت الإنسان من أخيه فإذا ربحنا

أخانا فقد ربحنا أنفسنا . أما إذا أسأنا اليه فقد أخطأنا إلى الله[1] .

قال السيد المسيح له المجد : « ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها . ولكن ان ماتت فهى تأتى بثمر كثير » (يو ١٢:٢٤) .

+ أكسب نفسك عن طريق البذل .

ان رسالة الإنجيل هى رسالة البذل من أجل الغير ونحن نعبد المسيح الباذل ، ونبشر بالاله الفادى ونطوّب القديس الباذل ونسعد بالعمل المصحوب بالبذل ونشهد للمسيح بحياة المحبة والبذل .

+ كن علامة وحدة وفرح بين الآخرين :

« أما نحن فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » (١كو ١٢:٢٧) .

هل عندك مذكرات خاصة مدون بها مختارات من الكتاب المقدس ، وغيره مبوبة حسب موضوعاتها . وهل تحفظِ أجزاء معينة من الكتاب عن المبادىء المناسبة مثل :

١كو ١٣ ، أو ١كو ٣:١١ــ١٨ أو غل ٥:١٣ــ٢٦ .... أو غيرها ؟

---

(١) البستان ص٤٣٢ .

الدرس الخامس ــ بين السلوك والقلب ــ الداخل والخارج

« كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة » (١تى ٤:١٢) .

يقصد الرسول بولس أن يقول أن نقاوة القلب تحتاج إلى تدقيق فى التصرف والتصرف يخرج من القلب . ومن أجل أن تكون قلوبنا طاهرة يجب أن نتحكم فى التصرف .

لقد تكلمت المسيحية كثيرا عن العمل الباطنى فى الداخل وأنه ينتج العمل الخارجى الظاهر . « الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور » (مت ١٢:٣٥) . وبينت أن الله يحاسب على الداخل « فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦) ولكن هذا لا يعنى أنه لا يحاسب على العمل لأن الرب يسوع حين تكلم عن الداخل لم يترك الخارج ، وانما تعمق إلى الجذور والأصول .

وهنا الرسول بولس يوضح أثر الخارج على الداخل . فنحن إذا تهاونا فى الكلام ، وفى التصرف فاننا نفقد المحبة والفرح والروح .

ونصل إلى ضعف الإيمان والطهارة لأن التصرف المتهاون يخلق روح ضعف المحبة وهذا يوصل إلى اليأس من محبة الله .

سؤال : ما أسباب عدم التدقيق فى الكلام والتصرف ؟

الجواب : الثقة الشديدة بالذات وبفهم الطريق . كأن يقول الأخ : « أنا دائماً أتصرف بهذه الطريقة أى هذا طبعى أو أنا أفهم الأمر » . لكن طريق السيد المسيح يلزم أن يكون فيه تدقيق فى الفكر وفى التصرف .

تكلم القديسون كثيراً عن أمور نظن أنها بسيطة وهى : ضبط الحواس ، وضبط اللسان ، وهدوء الحركات . والكتاب المقدس بيّن أن هذه ليست قيوداً وانما هى ضبط لمخارج الداخل . فمثلاً يقول « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٠) . ومن شأن نقاوة الخارج أن تحفظ الداخل نظيفا .

ويمكننا أن نقسم هذه الأمور الستة الواردة فى الآية (١ تى ٤ : ١٢) إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ السلوك ويشمل الكلام والتصرف .
٢ ــ المشاعر أو الاحساس الداخلى ويشمل المحبة والروح .
٣ ــ الفكر ويشمل الإيمان والطهارة .

وبذا يكون التهاون فى السلوك يؤدى إلى الفتور فى المحبة واهتزاز الإيمان وضعف النقاوة .

ونكتفى هنا بذكر أهمية أن ندقق فى سلوكنا وكلنا محتاجون إلى هذا التدقيق فى السلوك وفى الكلام وفى التصرف .

فى الكلام : لا تستمع إلى كلام ذم أو تشويه حتى ولو كان فيه ادعاء بعدم الذم فى الآخرين . أرفض هذا الكلام من نفسك فأنت تذم الأخ فى قلبك وهذا الذم دائماً يحمل عدم المحبة . أما الكلام الذى فيه محبة فينتج البنيان .

وقد تقول أن التمييز بين الذم والنظرة التى تبنى أمر صعب لأن روح الكلام حتى ولو كانت كلمة واحدة توضح هذا من ذاك .

فى التصرف : ان روح التصرف تظهر ان كان بسلامة نية أو بسوء نية . وقد تكون حركة بسيطة بجزء من الجسم مثل حركة يد أو حركة رقبة لكنها تغطى معان كثيرة . ودون أن تقول شيئا يفهم الأخ الآخر أن هذه الحركة تعنى كراهية .

أما الكلام والتصرف النقيان فيمجدان الله . نق اذن تصرفك واجعله يمجد الله .

لما وجه السيد المسيح كلامه إلى الكتبة والفريسيين بأنهم يهتمون بالحرف تاركين الروح لم ينكر الاهتمام بالحرف بل قال لهم : « كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك » (مت ٢٣:٢٣، لو ١١:٤٢) .

تدريب : التزم بنقاوة كلامك وتصرفك هذا الأسبوع وقسه دائماً فى ضوء سؤالين :

١ ــ هل هذا السلوك سلوك محبة وقلب مؤمن ؟

٢ ــ هل هذا الكلام يزيد ايمانى بربنا .. ويزيد نقاوة قلبى وطهارتى ؟

٣ ــ اكتب مذكراتك .

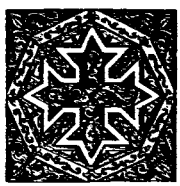

الدرس السادس ــ فحص النفس

يقول الرسول بولس : « لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه » (١كو ٢:١١) وأيضا « نتكلم لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل مما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات » (١كو ٢:١٣) ومعنى هذا ان كل إنسان إذا تأمل فى نفسه يمكنه أن يعرف الأمور الصحيحة من الأمور الخاطئة ، وأنه فى أمر ما يتصرف حسنا وفى أمر آخر تصرفه غير سليم حتى وان خفى على الناس . والمؤمن يتدرب على فحص الفكر وعلى ضبط سلوكه فى طرق الله وهو حينئذ سعيد جدا .

فلندرب أنفسنا على هذا :

١ ــ **التحرر من الذات** : بتأمل الأخ فى طبعه يجد :

أ ــ **الفاظاً وكلمات عنيفة** تعود على نطقها وحين يسأل نفسه يقول ان ضميرى يؤنبنى عليها ولكنها لازمة . وهذه مغالطة لأنه يتعود الكلام غير اللطيف فتكون صورته معثرة ومنفرة .

ب ــ ويقول الأخ أيضا **هذا الحديث عن الناس** فيه دينونة وفيه نميمة وأتعوده تسلية وعدو الخير يشترك معى فى

الحديث والجلسة ، وضميرى يوضح لى أن هذا السلوك غير سليم ولكننى أتهاون وأسقط فى هوة الأحاديث غير البناءة ، وأذم الناس ، وأتذمر على الحياة وأطعن نفسى بأوجاع كثيرة .

يقول الكتاب المقدس « لأن محبة المال أصل لكل الشرور » (١تى ٦:١٠) وقد لا يكون عندى مال ولكنى أمتلك قدرة على النقد وهذه أتاجر بها . وقدرة على الذم وأنشرها . ويعجبنى أن يقول عنى الغير أن لى رأيا ، وأننى أفهم جيدا . وليس الخطأ فى الرأى أو الفهم وأنما الخطأ هو فى نشر الذم والنميمة .

وحينئذ أنا أشهد على نفسى بروحى فى داخلى أنى أطعن نفسى بأوجاع كثيرة .

جـ ــ **وهذا التصرف المزاجى** أنا أعلم أنه خطأ ولكننى أعلله لنفسى بأنه ضرورى . وبذا اترك نفسى بلا نظام وأنسى أقوال القديسين .

« ان الذين بلا نظام يسقطون كأوراق الخريف » وأيضا « الراهب يلتزم بالقانون حتى فى حركة حواسه فى القلاية لأن الله شاهد أن كان يسلك فى

الطاعة أم فى الانحلال » . والانحلال دائما يبدأ بالتهاون .

وفى كل هذا يقول روح الله صريحا والضمير يقول صريحا عن الخطأ أنه خطأ . فلنتعود أن نفحص فكرنا جيدا لأننا « لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله » (١كو ٢:١٢) .

٢ ــ **الفرح فى الطاعة** : (الالتزام) .

فرق كبير بين الفرح والسرور أو اللذة . فاللذة احساس يناسب الحركات الجسدية . والميول النفسانية أو الجسدانية تقيم سروراً . والذى يُرضى ذاته يلتذ بذلك ولكن الذى يرضى الله بالطاعة وبانكار الذات يتمتع بالفرح . على أن بداية رفض الذات تؤلم ولكن هذا ما قاله الرب « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو ١٣:٢٤) . فرفض الذات هو الباب الضيق . رفض الميل هو الباب الضيق . وقد يبدو أنه تضييق على النفس ولكنه فى الحقيقة تحرير للنفس من قيودها .

ظن آدم وحواء أنهما يتحرران من قيد واندفعا وراء ميل الذات ولو رفضا هذا الميل لعاشا فى حرية حقيقية . « افرحوا فى الرب كل حين » (فى ٤:٤) التزموا بقانونه

« قاوموا إبليس فيهرب منكم . اقتربوا لله فيقترب اليكم » (يع ٤:٧،٨) تأملوا سلوك القديسين تجدوه تحرراً من الذات ونموا فى الالتصاق بالرب .

والرهبنة حياة طاعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ فيقول القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان :

+ لا تكن قليل السمع لئلا تكون وعاء لجميع الشرور . ضع فى قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الرب عليك .

وقال أيضا :

+ الطاعة والمسكنة (الاتضاع) يخضعان لنا الوحوش . وقال الأنبا باخوميوس أب الشركة :

+ كن مطيعا مثل اسحق الذى كان يسمع لأبيه (إبراهيم) مثل حمل ساذج القلب .

قال شيخ :

+ لست اعرف سقطة للراهب الاّ إذا صنع هواه ، فإذا رأيت راهباً قد سقط فاعلم أنه وقع بهواه لأنه فعل برأى نفسه .

وقال آخر :

+ الطاعة هى فخر الراهب ، فمن اقتناها يسمع الله صوته ويقف

أمام المصلوب رب المجد بدالة لأن الهنا من أجل طاعتة لأبيه صلب عنا[1] .

٣ ــ **فحص الفكر** (الالتزام بجماعة الرب) :

فحص الفكر أيضا يقتضى الالتزام بجماعة الرب . فإن جماعة الرب وسيلة للنمو والخلاص من الذات .

فلنلتزم بحياة الجماعة ، وسلام الجماعة فى نشاطها ونموها . وليس فى هذا خسارة لنا لأن نمو الكنيسة يشملنا نحن أيضا لأننا أعضاء فيها .

فالتزامى بنمو الكنيسة وحيويتها هو انماء لى أنا أيضا . وهذا بخلاف ما لو التزمت بذاتى ففى هذا حرمان لى من الحيوية فى الجماعة واضعاف الجماعة يضعفنى أنا أيضا ولذلك كلما اندمجنا فى الكنيسة تحيا الكنيسة ، ونحيا نحن بعكس مالو انطوينا على ذواتنا تضعف الكنيسة ونضعف نحن .

---

(١) سمو الرهبنة ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

تأمل :

١ ــ علينا أن نفكر جيدا فى أفكارنا لنفرح وننمو :

هل هى مقدسة .

مدى تحررك من الذات .

هل فيها التزام بالكنيسة .

٢ ــ تأمل سلوكك مع الناس :

لا تظهر غير ما تبطن .

هل يختلط بفكرك مشاعر غير سليمة وإن كان الناس لا يرونها .

هل فيها عنصر ترفض أن يعاملك الناس به .

أو ينقص عنصر تحبه أن تعامل به .

لا تنتقد الناس على شىء فى معاملتهم لك بينما فى الحقيقة أنت تعاملهم بذات الشىء .

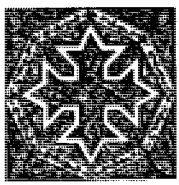

الدرس السابع ــ السلوك الروحى والسلوك الجسدى

القراءات : غل ٥ ، ١يو ٣:١٨ــ٢٢ ، رو ٨ ، يع ٣:١٣ .

الأصحاح الخامس من رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل غلاطية يتكلم عن نوعين من السلوك : سلوك روحى وسلوك جسدى . وإن كان معلمنا يعقوب الرسول فى الأصحاح الثالث من رسالته يعطى اسما ثالثا للسلوك وهو السلوك النفسانى أى السلوك بالمشاعر والعواطف إلا أنه يقصد ما يسميه الرسول بولس سلوك الجسد .

ويقصد بالسلوك الجسدى سلوك الشهوات وأما السلوك الروحى فيقصد به سلوك الفضائل لأن ميول الجسد وغرائزه فى وضعها الطبيعى تطلب أعمالاً جسدية هى تلبية رغبات الجسد بصورة غير مهذبة حسب الميول الطبيعية والإنسان العتيق . ولكن السلوك الروحى الذى يطلبه الله فهو السلوك بروح الله الساكن فى الإنسان .

والسلوك بروح الله بالإنسان الجديد يتطلب أعمالاً روحية هى فى زاويتها الجسدية ارتفاع وتقديس للميول الجسدية وسماها

« ثمر الروح » ولم يقل انها مواهب الروح لئلا يظن أحد أن هذه من هبات الله لكنها فى الحقيقة ثمار لوجود روح الله فى الإنسان .

« السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨:١) :

ولا يقصد أن روح الفرد أو روح الإنسان تشتهى ضد جسده ــ الإنسان وحدة واحدة وروح الإنسان وجسده فى مسيرة واحدة والميل واحد فإنه إذا اتجه الإنسان لعمل ما فهو يتجه بجسده وبروحه . حقا أن هناك بعض الآيات تتكلم عن جسد الإنسان وروح الإنسان مثلما يقول : « أما الجسد فضعيف ، وأما الروح فنشيط » (مت ٢٦:٤١) وهذه معناها أن رغبة الإنسان وهمته فى نشاط ولكن الجسد ضعيف . ومثلما يقول : « وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم » (فى ٤:٧) .

يلزمنا أذن أن نفحص سلوكنا هل هو روحانى أم جسدانى . وفى (١يو ٣:١٨ــ٢٠) يذكرنا القديس يوحنا أنه أحيانا نسلك سلوكاً روحيا وبعد ذلك نتشكك ويثور القلب ويحاول أن يثنينا فلا داعى أن نستمع إلى القلب مادام السلوك روحيا . « ياأولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق وبهذا نعرف اننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه » (١يو ٣:١٨ــ١٩) .

كيف يحدث السلوك الروحى ؟

هل السلوك الروحى معناه أن روح الله يقود الإنسان أم أن روح

الله يندمج فى الإنسان ؟ لو كانت العملية كلها ارشاداً من الله لكان كل إنسان يصلى وينتظر ارشاداً أو استجابة من الله ، ولكان اعتقاد الذين يقولون أنهم يتكلمون بألسنة ويتنبأون وينتظرون الأعلانات والرسائل من الله اعتقاداً سليماً . ونحن نعتبر هذا التصرف خاطئا خطأ جسيما . فالوحى فكر وليس املاء .

الله لا يلغى مواهب الإنسان وشخصيته حتى فى الوحى وفى اثبات كلامه . فلو كان الكتاب المقدس من تعبير الله لكان يكتب بلغة واحدة ، وبأسلوب واحد ولكنه ترك للإنسان حرية التعبير فصار الكتاب المقدس بصورته يصلح أن يترجم لكل اللغات .

يعمل روح الله فى الإنسان بكل ما فيه وبشتى عناصره : بعقله ، وتعليله ، وذاكرته ، وإرادته ، ومشاعره ، ومكوناته العصبية ، وقدراته الجسدية والاجتماعية .

فهذا الإنسان الجديد هو الإنسان الذى امتزج روح الله به على أن هذا الامتزاج ليس بدرجة واحدة عند كل الناس انما هناك عملية نمو فى الاندماج مع روح الله . وكلما اندمج وسلم ، وتخلى عن إرادته ، وطلب وصبر واهتم اهتمامات روحية وامتنع عن السلوك بالجسد كلما زاد نموه وفعل الله فيه . وأما وضوح الصورة فهو أمر متروك لله وحده « وان كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر . وان كان روح الذى أقام

يسوع من الأموات ساكنا فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم » (رو ٨: ١٠، ١١) .

عمل الروح القدس فيك :

يعمل الروح القدس فى الفرد ، وفى الكنيسة ، وفى الارشاد الروحى وفى الأسرار . فكيف تتكامل هذه الأعمال ؟ هناك من يقنعون بأرشاد أب الإعتراف . وهناك من يقولون أنهم يرتاحون إلى أفكارهم وما يقتنعون به ، وغيرهم يقولون أن الروح القدس يعمل بالإنسان بطريقة مباشرة ويعطيه رسالة واضحة فالى أى مدى يكون فعل الروح فى هؤلاء جميعا ؟

يلزم الإنسان المؤمن عدة عناصر تختلف نسبتها فى الفرد الواحد ومن شخص إلى شخص آخر .

طاعة الوصية الكتابيه ، الصلاة وفحص الذات فى عبادات وتأملات وفحص معاملاته . والصلاة الكنسية والاجتماعات والمناقشات مع ذوى الخبرة .

ونحن ننمو بهذه العناصر مجتمعة وهى فردية وكنسية وهناك أيضا **الفعل المباشر** من الروح القدس للإنسان .

والإنسان ابن لله بالتبنى وينمو بالعبادة والدراسة وطاعة الوصايا والحرص على روح القداسة . كما أنه ينمو من خلال الكنيسة فروح

الله يعمل فى الكنيسة فى عباداتها ، وفى الحياة الجماعية ، وفى الممارسات الروحية وفى التسابيح ، وفى المواسم المختلفة بما فيها من الفعل الروحى كما يحتاج الإنسان أيضا إلى كشف نفسه أمام الأب الروحى وإلى سماع الحل منه .

وتختلف نسبة العناصر تبعا لطبائع الناس . فهناك من ينمو من خلال دراسة الكتاب المقدس والتأمل بنسبة أكبر أو من ينمو فى العبادات الكنسية أو من يحتاج إلى نسبة أكثر من العبادات الفردية ، أو من يحتاج أرشاداً فى تفصيلات الأمور على فترات متقاربة . أو من يحبون أسلوبا معيناً آخر فروح الله يعمل ليشبع وينمى طالما كان الإنسان صادقا فى الطريق .

وقد تختلف نسبة هذه العناصر تبعا للظروف والسن .

دور المؤمن :

نحن نتكلم عن فعل الروح ولكن هل هناك واجب على الإنسان ؟

والاجابة قطعا كما يقول الرسول « لأنه أن عشتم حسب الجسد فستموتون . ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨:١٣) وكما يقول فى (رو ١٢:١١) « غير متكاسلين فى الاجتهاد . حارين فى الروح . عابدين الرب » . وأيضا « ان كان أحد يجاهد لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا » (٢تى ٢:٥) .

اذن فالجهاد واجب والرسول يقول فى (رو ٨:٣٥،٣٦) « من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم اضطهاد . أم جوع . أم عرى . أم خطر . أم سيف . كما هو مكتوب اننا من أجلك نمات كل النهار . قد حسبنا مثل غنم للذبح » . ولو حدث تكاسل فالتفاعل يقل . (ولا نقصد التكاسل الذى لا يستمر مثل التعب) ولذا لابد من الجهاد فى الروح فى العبادة وفى طاعة الوصية وفى اشعال الروح واضرام النعمة . والجهاد الذى هو حسب النظم الكنسية والترتيبات الموضوعة بحكمة واختبار الآباء القديسين .

وقد قال أحد القديسين :

لا تكون أمة تحت السماء مثل المسيحيين إذا أكملوا ناموسهم كذلك لا توجد مرتبة جليلة مثل مرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسهم »[1] .

وقال انبا يوحنا القصير :

بالرغم من أننا (أى الرهبان) نفر قليل لكن دعونا نقدر الشرف الذى لنا أمام الله[2] .

هذا كله يؤدى بنا إلى الانقياد بالروح الذى هو الحياة بالروح وبالإنسان الجديد وبالممارسات المتكاملة الطقسية وبإرشاد الله

---

(١) البستان ص١٢٥ .

(٢) البستان ص١٢٥ .

بمختلف الوسائل نحو السلوك بوداعة وليس بكبرياء ولا نرتئى فوق ما ينبغى » (رو ١٢:٣) .

تأمل :

البعض يقولون أن التغيير الذى يحدث فى الإنسان هو بفعل النعمة وحدها . وليس الإنسان إلا مستقبلا للنعمة . مثلما يضع الإنسان يديه تحت الصنبور فيغسله الماء .

وآخرون يقولون أن النعمة هى القوة الالهية . وجهاد الإنسان يجعله يتفاعل مع النعمة ويصل إلى الحياة الجديدة مثل تنظيف الملابس . فإن القوة المنظفة هى الماء والصابون . ولكن كلما حرك الإنسان الملابس وضغط عليها كلما نظفت . ما رأيك ؟

وما مدى دور الإنسان فى تهيئة نفسه للتفاعل مع النعمة ؟

وآخرون يقولون الناس يختلفون فى أسلوبهم واحد ينمو بالتسليم والبساطة ، وآخر ينمو بالجهاد ويختلفون فى نسبة هذين العنصرين . تأمل وصل وأكتب رأيك .

ثم حدد لنفسك بعض المبادىء المعتدلة افحصها بمختلف الوسائل واعرضها على مرشدك الروحى ، وعلى جماعة الأخوة .

الدرس الثامن ــ الجسد والنفس والروح

« وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية » (تك ٢:٧) وهذا يعنى أن آدم مكون من جسد مادى وروح من الله ، وأن الاثنين كونا النفس الإنسانية أى الحياة الإنسانية العاقلة . فالإنسان كائن توحد عنصراه وكونا الطبيعة البشرية دون انقسام بين الروح والجسد إلا عند الموت .

ولما خلق الله الإنسان ، كان الإنسان طاهراً بالروح والجسد وطاهراً بالنفس . وظل يتمتع بالشركة مع الله ، يستمد منه الحياة النقية دون فساد . ولما دخلت الخطية إلى طبيعة الإنسان ، توقف تيار النعمة الآتية إليه من الله ، ودخل إليه الفساد ، فصار آدم « عارفا الخير والشر » (تك ٣:٢١) وهذه هى الطبيعة البشرية التى نولد بها جميعا . « من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » (رو ٥:١٢) .

وكثيرا ما يستعمل الكتاب المقدس لفظ « الجسد » ليدل على الطبيعة البشرية التى نولد بها ، ولفظ الروح بمعنى الروح القدس

الذى يحل فى المؤمنين ، أو الطبيعة الجديدة التى تتكون فى الإنسان بالفداء وحلول الروح القدس فيه « فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح . لأن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام » (رو ٨:٥ــ٦) . « وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة ، دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر . وأمثال هذه » (غل ٥:١٩ــ٢١) . « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » (غل ٥:٢٢ــ٢٣) فالجسد والنفس والروح طبيعة واحدة ان سارت فى الشر فهى الجسد أى الإنسان العتيق أو الطبيعة القديمة ، وإن سارت فى النعمة فهى الروح أو الإنسان الجديد أو الطبيعة الجديدة . « إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨:١) « وطوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (مت ٥:٣) .

أما إذا نظرنا فى الطبيعة البشرية إلى الأركان المادية والعقلية والروحية فأننا نجد هذه الثلاثة تعبر عن نفسها فى السلوك الإنسانى سواء كان شريراً أو صالحاً ، ونجد الثلاثة متلازمة كجوانب مترابطة . فتناول الطعام عمل جسدى ، لكنه يحوى الاختيار والتذوق وطريقة العرض أعمال عقلية ، وفيها أيضا التعفف والقناعة

والشكر وهى أعمال روحية . والتسبيح لله يبدو مسألة روحية ، لكنها تحوى أيضا الصوت وهو مادى ، والمعنى وهو عقلى ، والتأمل فى الله والتخشع قدامه والشبع بالنظر إليه وتمجيده وهى روحية .

وفى الرهبنة اهتم المعلمون بهذه الجوانب الثلاثة وأسموها الجسدانية والنفسانية والروحانية وهى مترابطة غير منفصلة وإن كان بعض المعلمين قد تكلموا عنها باعتبارها درجات الواحدة بعد الأخرى . غير أن ذلك كان من قبيل التبسيط وسهولة التعلم .

أولاً ــ الزاوية الجسدانية :

وعلينا أول كل شيء أن نهتم بالعمل وممارسته متقناً فلا يجوز أن يعيش الراهب بغير عرق جبينه . وقد قال بولس الرسول : « لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم . ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً لكي لا نثقل على أحد منكم » (٢تس ٣:٧ــ٨) .

والناس الذين يعيشون فى العالم يقدمون لله حقه فى أموالهم ، ويعولون عائلاتهم فأولى بالرهبان الذين نذروا الفقر أن يعملوا باجتهاد ، وينفقوا على أنفسهم القليل الذى يعيشون به كفقراء ، ويقدمون للرب القدر الأكبر من مالهم . وهم إذ يمارسون العمل باجتهاد يدركون جوانبه ويحفظون النظام وهذه جوانب عقلية ، كما أنهم يمارسون صلواتهم وهدوءهم وشكرهم وتكريسهم جهودهم وهذه جوانب روحية .

على أن الرهبنة لابد أن تهتم كثيرا بالعمل المادى . أولاً لأن الفقراء يؤدون أعمالهم بأيديهم . وثانياً لأن العمل اليدوى هو الذى يساعد الجسد والعقل والنفس على الصحة . فالعقل المرتبط بالعمل عقل عملى وليس نظرياً ؛ هو مرتبط بالأنجاز وليس خياليا ، متوافق مع الحركة يضبطها ويتقنها . يرافقها وينقدها . فالعمل يكون متقناً سليماً نظيفاً ، منضبط التوقيت ، متوافقاً مع الجماعة ومتكاملاً معها . وكذلك الروح تكون صافية ، محبة ، بسيطة لأنها متوافقة مع العمل الجسمى فليست روحا خاملة ، بل بسيطة ، وليست مفكرة فى نفسها ناقدة لغيرها بل تتولد فيها المحبة وحسن الظن ومحبتها لا تسقط فعلى الرهبان أن يفرحوا بالعمل اليدوى ، ويقبلوا التوجيه فيه بهدف الأتقان وحسن الكمال . عليهم ألا يعتبروا التوجيه اهتماما بماديات ولا يظنوا أن ذلك يتنافى مع هدفهم الروحى الذى ترهبوا لأجله . فأن العمل البسيط السليم يصحب العقل إلى السلامة والصحة ، والروح إلى بساطة الفضيلة .

فليمارس الرهبان الأعمال الجسدانية بجد والتزام واتقان فأنه مكتوب « لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب » (كو ٣:٢٢) . ولا يعتبروا التوجيه تسلطا لأن الإنسان الواحد لا يتقن كافة الأعمال . ولذا يلزمه التعلم والطاعة بوداعة القلب وفرح الروح ، واستجابة العقل المستنير الفاهم .

ثم أن السلوك فى السن الكبير يتوقف على ما تعودناه فى صغر السن . فالجسد الخامل فى سن الشباب ينهار حين يتقدم فى العمر . وبالعكس فمن تعود العمل ساعده ذلك على دوام النشاط وقد قال الحكيم « امرأة **فاضلة** من يجدها . ثمنها يفوق اللآلىء ... تطلب صوفا وكتانا **وتشتغل بيدين راضيتين** ... تقوم إذ الليل بعد وتعطى أكلاً لأهل بيتها وفريضة لفتياتها . تتأمل حقلاً فتأخذه وبثمر يديها تغرس كرما ... تمد يديها إلى المغزل ... **تبسط كفيها للفقير** وتمد يديها إلى المسكين تفتح فمها **بالحكمة** وفى لسانها سنة المعروف .. الحسن غش والجمال باطل . أما المرأة المتقية الرب فهى تُمدح » (أم ٣١ : ١٠ــ٣٠) .

لقد كان القديسون مجتهدين فى الأعمال البسيطة يتعلمون ويتقنون ويتعاملون حسنا مع الناس ونفوسهم صافية . فلم يكن موسى راعى غنم نظرياً بل مارس ذلك عملياً ، وبطرس صياداً ، ورب المجد نجارا ، وبولس صانع خيام . وهو يقول : « نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا . لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا أكلنا خبزاً مجانا من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً كيلا نثقل على أحد ... لأننا نسمع أن قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب ولا يشتغلون شيئا ... » (٢تس ٣ : ٦ــ١٦) .

ثانياً ــ الزاوية النفسانية :

والمقصود بها من الناحية السلبية القلق والفتور والهبوط وأهمال تمييز الأفكار وأما من الناحية الايجابية فيقصد بها تكوين الصفات العقلية مثل التركيز ؛ تركيز الفكر والانتفاع من القراءة وحسن الاستماع والمناقشة والتفاهم ، وضبط النفس ، والصبر ، وتقدير ظروف الآخرين .

ايجابيات :

أ ــ التفاهم :

+ والتفاهم هو ألا تطلب من غيرك أن يقدر ظروفك وإلا عنى هذا تمسكك بموقفك بل قدر ظروف غيرك لأن الإنسان عليه أن يضبط نفسه « وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شيء » (١كو ٩:٢٥) .

+ والتفاهم هو دراسة الأمور بطريقة موضوعية وتعود عرض الأمور ودراستها وهذا يوصل إلى تفهم المواقف .

+ وليس فى التفاهم مجال التشبث بالرأى لأن هذا معناه أن الأخ يعتقد دائماً أن رأيه هو الصحيح ولكن التعامل مع الناس يلزمه معرفة أن للغير رأياً واجب التقدير . أما الألحاح لاقناع الغير برأى فليس تفاهما بل تفهيما الذى ينتهى بغضب .

« أنا أطيل بالى على فلان وأشرح له الموضوع وأعرف ما أقوله أنه صواب ولكنه إنسان لا يقتنع » .

يبدو من هذا الحديث أن المناقشة بغرض التفهيم وليس لغرض التفاهم الذى يعنى أن ندرس الموضوع لنبحث عن الصواب والصحيح الذى قد يكون موافقا لرأيى ، وربما رأى غيرى ، وربما هو رأى جديد لم نفكر فيه سابقاً .

ثم لا ننسى أن فهمنا لموضوع معين قد يتغير بتغير الظروف أو بتغير الخبرة وكثير من الأمور ليس لها صورة واحدة . وكثير من الأعمال ليس لها طريقة واحدة .

وقد يؤدى التفاهم إلى فهم أكثر من طريقة للعمل ولابد أن يؤدى إلى تحسين العمل وإلى نمو الفكر .

+ التفاهم هو المناقشة وهو دراسة يستفيد منها كل إنسان من الآخر ، الصغير من الكبير والكبير من الصغير وقد يستفيد المهندس من العامل وإذا عاشت جماعة هكذا تتقدم حياتها .

+ التفاهم يجعل الإنسان يتقدم فى فهم الأمور أى أنه يدرب على حسن التفكير لأنه يعطى خبرة والخبرة تجعل الإنسان يعرف أشياء مختلفة بخلاف التشبث بالرأى . فالإنسان المتفاهم يتعلم دائماً وتأتى عليه مواقف يحسن التصرف فيها لأن الأمور قد درست سابقاً أما غير المتفاهم فمعرفته تتحدد .

« امتحنوا الأرواح » (١يو ٤:١) كيف نمتحن الأرواح

أى أن نختبر كل فكر . معنى هذا اننا مطالبون أن نتناقش مع الأفكار وهذا مهم جدا خصوصا فى المجتمع المعاصر المملوء بالتغير ، والتفاهم يولد الاختبار .

لم يكن المجتمع القديم متغيراً بهذه الطريقة السريعة وكان الإنسان يسير بالعادات فى معظم الأمور لكن فى المجتمع المعاصر نحتاج أن نفكر وأن نختار .

والجماعة المتفاهمة والدير الذى يتعود رهبانه على التفاهم يساعد هذا على نمو شخصيتهم .

ب ــ **التعلم الدائم** : والحياة تعلم ، والمعلم الناجح هو الذى يدرس مع تلاميذه وهو الذى يختبر الأمور والذى يعيش لكى يتعلم . ولقد تسمينا جميعا تلاميذ . والرسول يعقوب يقول : « لا تكونوا معلمين كثيرين ياأخوتى ... » (يع ٣) . أى عيشوا تعلموا دائماً ، وعيشوا ادرسوا دائما ، واستفيدوا ، وسجلوا . تعلموا كل شيء مفيد فإذا وجدت آلة جديدة ويمكنك أن تتعلم إدارتها فهذا طيب . ولا يليق أن يقول الواحد أنا لا أعرف أن أصلح هذا الشيء مثل « حنفية » أو أن أدق مسماراً أو أن أتعلم لغة جديدة والتعلم الدائم هو لغة التفاهم .

+ ويعنى التعلم أيضا ليس فقط الأشياء الجديدة والخدمات الجديدة ولكن تحسين ما أعرفه من أبسط الأمور وأعظمها .

فمثلاً : أنا أعرف أن أغسل ملابسى . هذا حسن ولكن على أن أتعلم كيف أغسلها جيداً وبأسلوب جديد فتصير أكثر نظافة وبسرعة أكثر . وقد يقول قائل : أنا مدرس للتلاميذ . فنقول له عليك أن تتعلم شيئاً جديداً يجعل التلاميذ أكثر سعادة . وقد يكلف آخر بشراء حاجيات المكان فعليه أن يفكر فى أسلوب شراء الحاجيات المناسبة بالأثمان المناسبة .

وبالأجمال لا أعتبر نفسى قد عرفت شيئا ووصلت فيه إلى أحسن مستوى . ومادام الأمر كذلك فأفرح بالنقد .

واياك أن ترفض النقد لأن النقد يحسن وضعك ويساعدك ويوسع صدرك ويكبر عقلك .

جـ ــ **تقدير ظروف الآخرين** : وهذه من الصفات الأساسية فى الشخصية المسيحية فالإنسان المسيحى يقدر ظروف الآخرين . فإذا لم نقدر ظروف الغير لا يسهل تفاهمنا معهم وعندما نقدر ظروفهم نتعامل معهم بكياسة وبقبول .

وبدون تقدير ظروف الغير لا يمكننا التعاون معهم ولا التكيف معهم وإذا فهمنا وتفهمنا ظروف الناس نجد أسبابا طبيعية لتصرفاتهم ونجد صدورنا وقد اتسعت لهم ونرى السيد المسيح على الصليب وقد غفر لصالبيه . وهذا الغفران

ليس عملاً روحيا فقط ولكنه أيضا عمل عقلىّ لأنه يقول : « لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣:٣٤) قدر أنهم جهلة وكان من الممكن أن يكونوا غير جهلة ولكنه قدر هذا .

وفى مرة أخرى قدر أن الجمع غير جاهل عندما قال : « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية » (يو ٩:٤١) .

سلبيات :

أ ــ **أمور مختلطة عقلية ونفسية** : نتعلم أن لا ندين الناس فالدينونة هى التحدث من وراء الناس بشكل النميمة وهى احدى الخطايا التى يقع فيها كثير من الناس .

ب ــ **التذمر** : ادين الناس ولا يعجبنى حالهم ، واجلس مع اخوتى واحكى عن الآخرين بشكل النميمة وبعدها أفقد الرضا والرجاء والتقدير ويأتى التذمر الذى يتبعه اليأس فيتملك النفس روح اللامبالاه ، والشعور بعدم النفع وأن الدنيا خربت وهؤلاء لن ينصلح حالهم ابداً . فهم فى ظلم واستبداد وهكذا نترك نفوسنا فى السلبيات .

والمشكلة ان الأخت أو الأخ عاش فى وسط أخوته بروح وبنفسية المضطربين فإنه فكريا ينشر الفكر الخطأ . الأخ

موجود فى الدير وقلبه مملوء ظلمة بالفم اللسان يقول : اخطأت ياأخى سامحنى أنا خاطىء أنا أعرف أنى ضايقتك . أنتم قديسون وفى الحقيقة هذا الإنسان وقع فى بالوعة النفس اليائسة .

ماذا حدث ؟ لا يحبوننى .
مالكَ ؟ محطم .

وتكبر المشكلة ، ويعتبر الأخ نفسه صحيحاً ومظلوماً ويشكر الله أنه يعطيه الاحتمال لماذا هذا ؟ امتلأ هذا الشخص بالفكر أنه مضطهد ومظلوم وكل من حوله أشرار واباطرة ومستبدون هذه حالة نفسية تتطلب تعديلا فى الفهم والتعامل .

قال القديس يعقوب « من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة . ولكن ان كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية ... وأما الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء ... » (يع ٣:١٣ــ١٨) .

ثالثاً ــ الزاوية الروحانية :

المواهب الروحية هبات من الله وعطايا وليسَ بالضرورة مظاهر نمو روحى . فهناك من الطوائف المسيحية من يظنون ان دليل معرفة المسيح هو الحصول على مواهب مثل التكلم بألسنة أو النبوة وهذا اعتقاد غير سليم وقد ثبت أن التكلم بألسنة غير مفهومة هى موهبة خيالية .

ولا يجوز أن نظن أن الرهبنة الروحانية هى مرحلة المواهب كما أنها ليست صورة معينة للعبادة لئلا نظن أن الوصول إلى كمية معينة من العبادات هو المستوى الروحى .

صلوات الساعات . واحد يصلى مزمورين فى الساعة وأنت تصلى كل المزامير فى اليوم ، وأنت تظن أن النمو الروحى هو كمية معينة من الممارسات .

النمو الروحى هو التمتع بثمار الروح « وأما ثمر الروح فهو محبة . فرح . سلام . طول أناة . لطف . صلاح . إيمان . وداعة . تعفف » (غل ٥:٢٢) أنها صفات للقلب وليس فيها مواهب ولا كمية عبادات . الحياة الروحية هى حياة امتلاء القلب بصفات الحياة الجديدة والوصول اليها عن طريق الصلاة وتفهمها وتطبيقها .

هل منا من كان يظن ان اللطف ثمرة من ثمار الروح أن أكون

فرحا بنعمة المسيح ومنسحقاً فى نفس الوقت . الفرح بالرب صفة طبيعية للمؤمن حتى ولو كان حزيناً .

وهكذا ليس هناك تعارض بين الصفات المختلفة فى قلب المؤمن .

وإذا قلنا أن الحياة الروحية ليست هى المواهب فإننا نقول أيضا أنها ليست هى الحالة النفسية ولذلك يجب أن نفرق بين ما يسمى بالحالة النفسية والحالة الروحية .

وقد يحدث أن أخاً ما يحس بشىء من الضيق أو القلق وحين يقال له أنه ثابت فى الروح وان الله معه يستنكر هذا لأنه يخلط ما بين الروحيات والنفسيات .

القلق والخوف والشك وعدم الشجاعة صفات نفسية .

ونحن نجد قديسين يصلون إلى مستوى روحى عال بينما صفاتهم النفسية أو فيهم صفات نفسية ضعيفة فمثلا نجد يونان النبى انساناً مترددا ولكنه أمام الله أمين واناء صالح . فإذا قلنا ان الأخ فلان روحانى مبارك ، فلا يجوز أن نخلط بين ذلك وبين متاعبه النفسية .

على أن المتوقع أن تساعد الحالة الروحية السليمة على شفاء النفس فنحن بممارسة الإيمان ننتصر بنعمة المسيح على القلق . وممارسة الفرح أيضا تساعدنا على أن ننتصر على القلق . وكما قال الكتاب « بالروح ــ أى بالروح القدس ــ تميتون أعمال الجسد » (رو ٨ : ١٣) .

وكما حدث مع كثيرين ان نشاطهم الروحى ساعد على تغيير نفسياتهم وشخصياتهم مثلما تغير الرسول بطرس الخائف أمام جارية إلى شجاع أمام المجمع .

ولكن النفسية لا تتغير تغييراً كاملاً عند جميع الناس بل كثيرون يحتفظون بصفاتهم النفسية بدرجة ما مع تغيير حياتهم الروحية .

كان القديسون يهربون من أظهار مواهبهم فالرسول بولس لم يتكلم عن موهبة رؤية السماء الثالثة إلا بعد أربع عشرة سنة (٢كو ١٢) وكثير من القديسين اعطاهم الله مواهب ولكنهم كانوا يخفونها وكثيرا ما حذرنا القديسون من الجرى وراء صورة المواهب خصوصاً وان الشياطين كثيرا ما تتدخل لتوهم الإنسان بالمواهب فيأتى الشيطان فى شكل ملاك من نور ويبلغ راهباً أخباراً ويستمر فى ذلك ولمدة طويلة حتى يستسلم له والتاريخ يحوى قصصاً من هذا النوع لأناس رفضوا أرواحا أتت إليهم فى شكل ملائكة أو قديسين . وآخرون سقطوا لأنهم صدقوا هذه الأرواح .

والمواهب الروحية هى عطايا من أجل بنيان الكنيسة وليست دليل تميز الشخص وقد يعطى الرب موهبة ما ويؤسفنا أن نقول أن حاملها قد لا يستفيد منها . وهكذا قال الرب أنه يكون فى يوم الدينونة كثيرون يقولون لى :

« يارب يارب اليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين

وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط . أذهبوا عنى يافاعلى الاثم » (مت ٧:٢٢:٢٣) .

الحياة الروحية هى **المحبة للجميع الموصوفة فى (١كو ١٣) وهى السلام الذى لا ينزع منا ، وهى الفرح الذى قال عنه الرسول يعقوب : « احسبوه كل فرح ياأخوتى »** (يع ١:٢) وقال الرسول بولس : « افرحوا فى الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا » (فى ٤:٤) . وهى التعفف عن الغضب وعن الشهوات وهى طول الأناة أى القلب المتسع وهى البعد عن الخطية ببساطة وبطريقة طبيعية وهى الفرح بتوصيل كل نفس للمسيح بالشهادة الحقيقية لفعل الخلاص فالذى عرف المسيح يسلك بالروح ويرى الناس فيه المسيح ويفرح بخلاصهم ويخدمهم كما كان الرب يسوع المسيح « الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس » (أع ١٠:٣٨) .

والآن يتساءل البعض هل هذه الجوانب الثلاثة تأتى متوالية أى أنه بعد أن ننتهى من واحدة ندخل إلى الأخرى ؟ الجواب بالنفى فهذه الجوانب الثلاثة مترابطة ونحن حين نمارس الأمور الروحانية مثل المحبة والفرح والسلام لا يمكننا أن نمارسها إلا إذا كنا قد تدربنا على العمل والاتقان والنظام والتعاون وضبط النفس والحواس وحينئذ يمكننا ان نتدرب على اتقان المحبة للجميع المملوءة وداعة المحتملة المتأنية المترفقة .

ثم ان الفضائل تنشط بعضها بعضا فالمحبة الحقيقية التى لها الصفات الواردة فى الكتاب المقدس تنشط الحكمة ويرافقها الفرح والسلام . وإذا تعاملنا مع الناس بهذه الروح تولد فينا طول الأناة وهكذا . ثم أنه بممارسة هذه المبادىء نساعد روحنا ونفسنا وجسدنا على السلامة .

ثم ان الأمور تتكامل كلها معا فالعمل المتقن الأمين يساعد على نشاط كل النواحى وعلى ايجاد جو للسلام والانتعاش الروحى . فالجوانب الثلاثة تسير مع بعضها فى وقت واحد والراهب يعيش طول عمره يمارس الثلاثة جوانب معاً .

أما عن ناحية التدريب فلابد أن نتدرب أولاً على الزاوية الجسدانية وتأتى الزاويتان الأخريان طبيعيا بعد ذلك ويجب أن نعيش فى هذه النواحى طول الحياة فنعمل ونتعامل ونتفاهم ونفرح ونحب الله والناس طول الحياة .

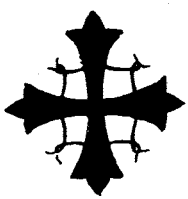

هنا ينتهى الباب الأول
« معالم الطريق »

ويحوى :

١ ــ ماهية الحياة الرهبانية .
٢ ــ العبادة والعمل .
٣ ــ المحبة الأخوية .
٤ ــ الروح الديرية .
٥ ــ بين السلوك والقلب الداخل والخارج .
٦ ــ فحص النفس .
٧ ــ السلوك الروحى والسلوك الجسدى .
٨ ــ الجسد والنفس والروح .

نطلب اليك أيها القارىء الا تتقدم سريعا لدراسة ما بعده . بل تقف هنا . وتعيد الدروس واحدا واحدا . كما تعيد فحص نفسك . وتصلى من أجل هذه المعالم وتلتزم بتطبيقها .

الباب الثانى ــ الروح الواحد
الدرس التاسع ــ الشركة الروحية فى المسيح

أولاً ــ الشركة الأولى لها صفتان :

إذا تتبعنا قصة الخليقة نجد دروساً من المهم أن نتأمل فيها .

١ ــ لا فرق بين عمل روحانى وعمل مادى :

الله كامل وكل أعماله روحانية وكونية فى نفس الوقت . والمقصود بهذا القول أنه لا فرق عند الله بين عمل وعمل ، ولا يوجد ما يجعلنا نقول أن الله تعالى كان يعمل فى وقت ماعملاً مادياً ، وفى وقت آخر عملاً الهياً روحياً . بل الله يعمل دائماً ، وهو القدوس الروح الأعلى ، والفاعل فى جميع مستويات الخدمة .

نحن لا نجد فارقاً فى عمل الله فى أى يوم عن اليوم الآخر . لا شك أن هناك فارقاً فى نوعية الشىء المخلوق وربما فى العناصر التى توضع فى كل كائن على حدة . فنجد فى الإنسان نفخة من الله وهذه غير موجودة فى الكائنات الأخرى . لكن الله واحد ، وكل أعماله هى عبارة عن تأثيره فى الكون ، فيخلق من العدم ويدبر ما هو موجود ،

ويطوره . وهكذا على الدوام ان عمل مع الملائكة ، أو مع أجرام جمادية فهو الله الكامل .

ولعل الإنسان لم يحس بالفرق بين العمل الروحى والعمل المادى إلا بعد السقوط . قبل السقوط كان يزرع ويفلح الجنة ويجلس مع الله . وكانا يتكلمان عن الكائنات الأخرى وكان آدم يعطى الكائنات أسماءها (تك ٢) .

٢ ــ الأسرة كلها مترابطة وفى شركة معاً :

كان آدم على توافق فى عمله وفى علاقته بسائر أفراد الأسرة والمخلوقات والملائكة . وكان سامى الفكر فى علاقته يأكل ويشرب ويتسامر ويسبح الله .

ولم يكن عند آدم وقت هو فى شركة مع الله فيه ، ووقت آخر هو منفصل عنه بل كان آدم وحواء والملائكة أسرة الله . وكان الرباط دائماً . ولم يكن هناك ما يعكر العلاقة مع الله فى سائر ظروف الحياة بالليل أو النهار :

ثانياً ــ الله يعيد الشركة إلى وضعها الأصلى :

+ لما تجسد الله كان يعمل على اعادة هذه الشركة إلى وضعها الأصلى فهو على الأرض وهو أيضا فى السماء . كان يطرد الشياطين من الناس وهذا ما نسميه (عملاً روحيا) ويأكل مع الناس ونسميه (عملاً إنسانياً) لكن لا يجد الناس فرقا بين عمل

وعمل بل كانوا يحسون أنه كائن غريب موجود بينهم إذا فحصنا تصرفه بين الناس وجدناه لا يفصل بين وضع ووضع .

نراه مثلا فى « عرس قانا الجليل » يحضر العرس بأسلوب بسيط ، ولا يعكر صفو المجتمعين . وفى نفس الوقت يحول الماء البسيط إلى خمر . تكلمه أمه من زاوية مادية وتقول : « ليس لهم خمر » (يو ٢:٣) ثم تقول للخدام : « مهما قال لكم فافعلوه » (يو ٢:٥) ولا شك أنها تعودت على ذلك معه فى البيت فليس لديه عمل روحى فى وقت ، وعمل مادى فى وقت آخر بل شركة دائمة معهم ومع الكون كله .

ونراه أيضا فى « وقت التجربة » حين يلخص إنجيل مرقس هذا الموقف بالقول « وللوقت أخرجه الروح إلى البرية . وكان هناك فى البرية أربعين يوما يجرب من الشيطان . وكان مع الوحوش . وصارت الملائكة تخدمه » (مر ١:١٢،١٣) . فنجد الكون كله موجوداً ومترابطاً وفى شركة .

+ ومرة يقول إنجيل يوحنا « الناس مزمعون أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً » فنجد الحماس للوضع الشعبى والاجتماعى . ثم ينزل تلاميذه إلى البحر ويأتى الظلام وتهب العواصف ويمشى هو على الماء . ويخافون فيطمئنهم ويركب السفينة وللوقت تنطلق السفينة بسرعة إلى هدفها . وفى أول الأصحاح يشبع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين وقبل اتمام المعجزة يرفع عينيه إلى

السماء ويشكر ويوزع . وتبدو الصلاة والشكر **كعمل إنسانى** ولكن خلق الخبز من لا شيء هو عمل الهى .

ومن الغريب أن الرب يسوع اتخذ أسلوبا متشابها فى أمرين مختلفين جدا : تقديس سر الجسد والدم ، وفى تناول الطعام العادى . والمظهر قد يكون واحداً . « أخذ وبارك وشكر ووزع » لكن مرة تكون لقمة عادية ومرة أخرى تكون جسداً ودماً . وربما كان للسيد الرب طريقة معينة فى بدء الطعام لأننا نجد التلميذين الذاهبين إلى قرية عمواس يعرفانه عند كسر الخبز وكان الأمر مخفى عن أعينهما قبل ذلك .

من هنا نجد أن الرياح والظلام والسلطان على الطبيعة وتسهيل سبل الناس ، فى شركة متعددة الفعل غير أن جميع الأعمال مقدسة فى الشركة مع الرب يسوع ويتقدس الإنسان من خلال هذه الشركة .

+ ونراه أيضا عند قبر لعازر يقول « أيها الآب اشكرك لأنك سمعت لى » (يو ١١:٤١) وهذا عمل إنسانى ثم يقول « لعازر هلم خارجاً » (يو ١١:٤٣) وهذا عمل الهى .

من هنا يتضح ان فى تجسده على الأرض كما كان فى السماء لم يكن عنده عمل روحانى وآخر مادى وكان هو « الله فى الجسد » والعمل كله روحانى مادى وكل العناصر عادت إلى شركة مع بعضها وهذا عمل الله .

+ هذا هو سر التقديس « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١تى ٣:١٦) وجوده فينا وفى نفس الوقت وجوده بيننا وارتباطنا به وبالكون كما كنا فى الوضع السابق .

وهذا هو الذى قال عنه الصوت عند التجلى « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » (مت ١٧:٥) .

ثالثاً ــ شركة كاملة مع الكنيسة ومع العالم :

+ جاء رب المجد لكى يعيد شركتنا معه ومع الناس . معه ومع الكون ، ولكى تكون شركة روحية ومادية وعقلية فى نفس الوقت . فحياة الشركة التى للمؤمنين هى حياة رباط كامل بربنا يسوع المسيح بحيث لا ينقسم الأمر إلى وقت للقلب ووقت للرب .

وليست العلاقة معه علاقة روحانية منفصلة عن المادة بل هى روحية وعقلية واجتماعية ومادية وعاطفية وفكرية . هى أرضية وسماوية . حاضرة وأخروية .

دخل الإنسان مع المسيح إلى الأبدية « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣:١٦) .

+ ويقول معلمنا بولس الرسول « فأطلب اليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله

عبادتكم العقلية . ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢: ١، ٢) فالجسد يتقدس ويتغير ، والذهن يتقدس ويتغير والإنسان كله يكون صالحاً فى شركة أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد . هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضا لبعض كل واحد للآخر » (رو ١٢: ٤، ٥) أذن فالشركة شركة مقدسة مع الله ومع الناس وهى وحدة مقدسة بين ما يسمى روحانيا وماديا .

+ **والمؤمنون أعضاء فى جسد الرب تسرى فيهم جميعا عصارة هذا الجسد ففيهم روح واحد ، والروح يعطيهم حياة واحدة .**

إذن فشركتنا هى شركة وحدة فى الفكر ، وفى الشعور ، وفى الهدف ، وفى القداسة ، وفى التعزية . فى وقت العبادة وفى دراسة كلمة الله ، وفى فرصة الاجتماع ، وفى الخلوات الفردية ، وفى تسلياتنا ، وفى تآلفنا عندما نكمل بعضنا بعضاً . انها شركة دائمة .

الوسائط الروحية المساعدة :

١ ــ الغذاء الروحى ومعالجة الضعفات :

على أن هذه الشركة تحتاج إلى تغذية ومعالجة للضعفات فالتغذية للنمو لاستمرار الحياة ، ومعالجة الضعفات لأن عدو

الخير لا يسكت وهو يلقى بأمراض مختلفة فى أعضاء الكنيسة وعلينا أن نعالج هذه الأمراض .

ويقوم الغذاء على فرص التزود بالنعمة ، ويتطلب عقلا صاحياً وتركيزاً واستمراراً ومواظبة وهذه الفرص مثلما يقول الكتاب : « غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة » (عب ١٠:٣٥) ومن أجل هذا رتبت الكنيسة الأسرار والممارسات وفرص الغذاء الفردى والجماعى التى يلزم النمو فيها والحرص عليها .

٢ ــ **العمل بالروح وبالجسد :**

فلا يجوز للمؤمن أن يقول أنه فى وقت ما يعمل عملاً روحيا ثم بعد قليل سوف يعمل عملاً مادياً ، لأن روح الله يعمل فيه . فأعماله التى تبدو مادية هى مشبعة بالنعمة وهى من الروح وبذلك تزداد المعانى الإنسانية بين الناس وتساعد على حياة القداسة بين الناس .

كتب عن الراهب لورانس إنه بعد ما كان يملأ عقله فى الصلاة بعواطف متأججة نحو الله يمضى إلى المطبخ لأنه كان طاهيا للجماعة ، مزاولاً دقائق عمله دون أن يفقد هذه الصلة التى تدوم معه فى كل الفترات كما فى وقت الصلاة .

إنه عندما يبدأ فى عمله كان يقول فى ثقة الابن « ياإلهى بما أنك معى وكما أوصيتنى أن أركز عقلى فى هذه الأمور الخارجية أرجوك أن تمنحنى نعمة البقاء فى حضورك ، فلأجل هذه الغاية أنت تساعدنى وتستلم كل أعمالى وتمتلك كل عواطفى »[1] .

٣ ــ المواهب الطبيعية والمواهب الروحية :

وحين يتكلم الرسول بولس فى (رومية ١٢) يختلف عن الكلام فى (١كو ١٢) فالأخيرة تتكلم عن المواهب التى من الروح القدس مثل الشفاء ، وعمل القوات ، والتنبؤ ، والتكلم باللغات ، بينما فى رومية يتعرض لمواهب أخرى هى من الطبيعة الإنسانية مثل العطاء بسخاء ، المحبة ، الفرح مع الفرحين والبكاء مع الباكين ، تقديم البعض فى الكرامة ، الاجتهاد فى الروح . وبين الرسول أنها مقدسة فى الإنسان الجديد ويقول : « المحبة فلتكن بلا رياء ... ... بل منقادين إلى المتضعين » وهكذا يجمع الرسول فى الإنسان المواهب الروحية والمواهب الطبيعية التى تنمو بالاجتهاد (رو ١٢:٦ــ٢١) .

---

(١) اختبار الوجود مع الله ص٢٥ .

الخلاصة :

الله يخلق والأيام تتوالى ولكن المخلوقات مختلفة تتباين ومنها نتعلم أمرين .

الأمر الأول : أن نكون دائما فى الروح وفى الشركة لأنه ليست لنا لحظة أخرى نكون أعضاء مقطوعة منه . وسواء كنا نعمل عملاً مادياً أو روحيا فنحن فيه وبه « نحيا ونتحرك ونوجد » . (أع ١٧ : ٢٨) .

الأمر الثانى : ان مظاهر الأعمال ونتائجها تختلف . فهذا عمل فى وسط المجتمع ، وآخر صناعة شيء ، وغيره صلاة ولكنها جميعا بالروح القدس أو بالروح الجديد . والمؤمن تختلف مظاهر فعله من وقت لآخر حسب طبيعة الفعل . ثم أنها لا تختلف فى صورتها عن صورة أفعال غيره ولكنه مختلف فى الروح ، وفى القوة الفاعلة . وفى الواقع وفى الهدف وفى الطبيعة وبينه وبين الله شركة . وفى نفس الوقت يوجد بينه وبين المجتمع شركة . وهو فى حياته محتاج إلى مقومات الحياة ، وفيه ضعفات الوجود على الأرض فعليه أن يحرص على الغذاء من أجل الحياة ، كما عليه أن يحرص على الدواء من أجل العلاج .

العمل علاج للضعفات . علاج للانحرافات الفردية . علاج ضد الانسان العتيق ، علاج للاختلافات النفسية . علاج حسب اقتضاء

الظروف ولكنه فى كل هذا فى شركة مع الله والناس « فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح . لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعا لناموس الله لأنه أيضا لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكنا فيكم » (رو ٨:٥ــ٩) .

تأمل :

١ ــ تأمل فى ثلاثة أمور :

عمل الله تعالى فى الكون المادى والحى والكائنات العاقلة . وكيف أنه عمل واحد .

وضع الإنسان الأصلى عند خلقته .

وضع الإنسان الجديد بنعمة المسيح .

٢ ــ حدد بعض نظرات فى وحدة الحياة الإنسانية ووحدة جوانب العمل الإنسانى .

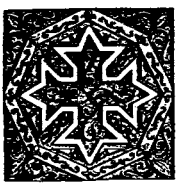

الدرس العاشر ــ روح الجماعة

القراءة : « فإن كان وعظ ما فى المسيح . إن كانت تسلية ما للمحبة . إن كانت شركة ما فى الروح . إن كانت أحشاء ورأفة فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة . مفتكرين شيئاً واحداً » . (فى ٢:١،٢) .

يبرز الرسول بولس فى كنيسة فيلبى أربعة أنشطة أساسية :

١ ــ « وعظ فى المسيح » وهذا نشاط روحى ويعنى الخدمة التعليمية للأطفال ، والشباب ، والأعمار المختلفة . وهو فى فيلبى تعليم سليم وبأمانة .

٢ ــ « تسلية للمحبة » وهذا نشاط اجتماعى وبالتعبيرات المعاصرة يعنى الخدمة الترويحية من نواد ورحلات وحفلات وثقافة .

٣ ــ « شركة فى الروح » وهذا نشاط تعبدى ويعنى اجتماعات صلاة ، وجلسات أغابى ، وعلاقات طيبة ، وروابط روحية .

٤ ــ « أحشاء ورأفة » وهذه خدمات اجتماعية ويعنى مؤسسات ، وخدمة فقراء ، ودور مسنين ، وأعمال رحمة .

كنيسة نشيطة . لو أن الأسقف ذهب إلى بلد ما ووجد أن البلد فيها هذه المظاهر من الأنشطة لابد أنه يفرح جداً . لكن بولس الرسول يقول أن فرحه ناقص .

ماذا ينقصهم ؟ وماذا يريد ؟

« تمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً » (آية ٣) معنى هذا أن الأنشطة كثيرة لكن هناك فقدانا للرأى الواحد والتفاهم . والرسول يريد الترابط ووحدانية الروح . وهو يضع أصبعه على بعض العيوب والنقائص . فإن لديهم انقساما فى الرأى وحزبية ويحتاجون إلى وحدانية الفكر وينقصهم التفاهم .

(الأخ فلان لا يرتاح للأخ فلان . وأبونا له شلة ، ولا يعطى وجهه للآخرين . الكنيسة وجماعة المؤمنين عندهم انقسامات داخلية لكنها غير ظاهرة) . لهؤلاء يقول الرسول : « تمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ، ولكم محبة واحدة بنفس واحدة ، مفتكرين شيئا واحدا .

ومن الملاحظ أن الرسول كرر كلمة « **واحداً** » أربع مرات فى مقابل الأنشطة الأربعة الموجودة .

وحدانية الروح :

وتقوم أساساً على ثلاثة أمور :

١ ــ **التواضع** : كما يتضح فى (فى ٢ : ٣)

« لا شيئاً بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » .

وفى هذا أدراك أن فكر الواحد ليس دائما أحسن من غيره بل الاختلاف كثيرا ما يكون اختلاف مواقف أو نظرات وهكذا الاحساس بالجوانب الطيبة الحسنة فى الآخرين ، فإن رب المجد نظر إلى الإنسان فنزل وخلصه . ولم ينظر إلى عظمة المجد السماوى ، بل تركها ونزل متواضعاً إلى الإنسان لأنه نظر لاحتياج الإنسان .

٢ ــ **السعى للسلام** : (أف ٤ : ٣) « مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام » . كثيرا ما يحارب الشيطان الرهبان بالانطواء ، والشك فى الغير ، وعدم الصراحة أو العتاب ، بدعوى المحافظة على سلامهم الشخصى . وبهذا يكون لكل واحد جانب خاص ، وتضعف الرابطة ويتفكك السلام الايجابى .

فيجب علينا أن نسرع لحفظ وحدانية الروح . نجمع المتفرقين ، نضمد الجراح ، نوضح النيات ، نساعد على المصارحة ، نصر على المصالحة ... وهذا أقل ما يجب فى دير شركة وخدمة .

٣ ــ الالتزام بالوحدة : (فى ٢:٢، أف ٤:٣،٤)

ويعنى هذا الالتزام بأننا أعضاء فى جسد الرب الواحد ونلتزم بالرباط ونتمسك بالوحدة التى لا تفك .

قد تنجح بعض العائلات أو الجماعات فى تجميع الأفراد حول هدف أو مناسبة ، وقد ينجحون فى تكوين روح الفريق فيتعاونون . ولكن الرباط والوحدة الروحية تكون ضعيفة . يتعايشون ولا يعيشون ، يتعاونون وليسوا واحداً فى الروح ، يحتملون وليسوا ينمون أيجابيا . أما فى الدير فيجب الالتزام بالوحدة . لأننا أعضاء فى جسد خاص وجنود فى وحدة خاصة ــ نعيش واحدا ونتعامل بروح الأسرة أكثر من روح الفريق ، وننمو فى الروح والعمل والفرح ولسنا مجرد محتملين بعضنا بعضا . نتمتع بالسلام القلبى ، نمتص بسرور ما يحدث بيننا ، ننسى ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام .

وإن كان عمار البيوت على الذين يلمون الأمور ، وقوة الجماعة على الذين يعملون من أجل الهدف بفرح وبساطة . فلنكن جميعا كذلك . وإن كان الضعف يأتى من التشبث بالرأى ، وخراب المجتمع سببه الأنقسام فليكن سبيلنا التمسك بروح الذى فدانا وسكن فينا جميعا وجعلنا أعضاء فيه .

ونلتزم بذلك دائما . وكلما سعينا فى ذلك كلما تكونت لنا خبرات ونمت الجماعة وشبعت النفوس .

تأمل :

١ ــ تأمل فى الفصل الذى نتلوه من رسالة أفسس فى صلاة باكر . واذكر لماذا جعلته الكنيسة ضمن الصلاة اليومية .

٢ ــ طبق ذلك فى حياتك كل يوم .

٣ ــ فى المساء حاسب نفسك عما أسرعت فيه وحفظت وحدانية الروح .

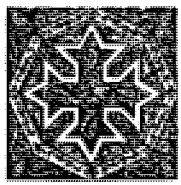

الدرس الحادى عشر ــ الالتزام بالشركة

١ ــ التحرر من العالم وحياة الشركة :

الكنيسة جسد الرب . والأسرة هى الوحدة الأساسية للتركيب الكنسى . على أن أفراد الأسرة ملتزمون بعضهم بالبعض . « وأما المتزوّج فيهتم فى ماللعالم كيف يرضى امرأته ..... وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها » (١كو ٧:٣٣،٣٤) وهناك أفراد وضعوا فى أنفسهم ألا يرتبطوا بأسرة صغيرة ، بل أن تكون الكنيسة أسرتهم « فأريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوّج يهتم فى ماللرب كيف يرضى الرب ..... غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً » (١كو ٧:٣٢،٣٤) ولذا وضع الرهبان على أنفسهم التخلى عن أمور الأسرة فقرروا التجرد عن المقتنيات ، والتبتل ، والطاعة للمدبرين .

وهكذا يتجهون فى حياتهم بلا قيود أو مسئوليات أسرية أو ميول ذاتية . فالقيود الأسرية والميول الذاتية يستبدلونها بالطاعة .

ونحن فى هذا الطريق ــ الرهبنه والخدمة ــ نلتزم أيضا بالشركة والهدوء .

ومن الضرورى عندما نتحرك فى خدمتنا أن يكون الفكر واضحاً . ويسأل الأخ نفسه : ما هو الدافع لمجيىء ههنا . فإذا كنت أتيت للنشاط فستنتهى حياتى بالنشاط .

وليست الخدمة الظاهرة للمجتمع وحدها هى الهدف ، لأننى أتيت لأصنع مع غيرى وحدة يكون الرب يسوع محورها .

ربما يكون لى عمل بسيط وليس له مظهر بين الناس ، لكنه يسمو عندما يكون الدافع اليه هو الرب يسوع .

فى بداية الطريق عندما تبدأ لدى الأخ فكرة الرهبنه أو التكريس قد يجد حروبا ومضايقات من أهله **لأعاقته** . وعندما ينتصر ويدخل فى الطريق يحاربه عدو الخير ويضايقه بالأفكار « لعله يعيش **فى اكتئاب** ، وعندما يتقدم يبتدىء يحاربه **بالفتور والروتينية** . فاحترسوا لأنفسكم وأحرصوا أن تكون الشركة أمامكم هى شركة الدوام فى النمو والنشاط والمراجعة والرب الذى أختارنا ، والابن الذى افتدانا ، والروح القدس الذى أرشدنا ويقدسنا يعزى قلوبنا إلى النهاية .

٢ ــ الجانب النفسى والإنسانى فى حياة الشركة :

أ ــ حياة الشركة تستخدم طاقات الإنسان النفسية وتجعلها تنطلق فى طريقها انطلاقاً سوياً .

فالعمل هو المنطلق الطبيعى لمكونات النفس . والمجتمع المنظم هو البيئة المناسبة لمسالك هذه المكونات .

ب ــ قد يعكف الإنسان على نفسه وخياله فتتكون عنده عيوب فكرية لا تكتشف إلا فى حياة المجمع والشركة . كما أنه بدون الخدمة الإنسانية يصبح العمل لا قيمة له .

نحن غير كاملين فى حياتنا العملية وكل منا يحمل بصمات من مشاكل الطفولة والتربية . ونشكر الله الذى يعطينا من حياة الشركة أن نعرف عيوبنا وهنا يحدث النمو النفسى .

الرهبنة المثمرة تجعل الإنسان يتقدم نفسياً ، ومن خلال مسيرة الحياة ينال نموا نفسياً وروحياً معاً . وإذ تنكشف الضعفات النفسية وسط الجماعة ، يكون للخلوة فرصة فعالة فى محاسبة الإنسان لنفسه بوضوح رؤية . ويكون الأنسحاق موضوعيا وعمليا .

٣ ــ الجانب الروحى فى حياة الشركة :

تكلم الرب يسوع عن البعد الداخلى والبعد الخارجى فى حياة الإنسان . وفى كلامه عن نفسه أنه الراعى الصالح

قال :

« ان دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو ١٠:٩) **لذلك فالحياة الخارجية مع الحياة الداخلية للراهب تصنع شيئا جميلا فى حياته . يدخل قلايته ليُصلى من أجل الأخوة فيخرج ويجد الرب يمتحن صلاته مثل الأنبا أغاثون الذى اشتهى أن يعطى جسمه لإنسان مجذوم فخرج ووجد إنسانا مجذوما وطلب منه أن يأخذه معه . فحمله وأتى به إلى المدينة وكان هو الرب يسوع نفسه** (بستان الرهبان ص٦٧) .

وحدث آخر مع الأنبا بيشوى الذى ساعد الإنسان العجوز ليصعد إلى الجبل وحمله على كتفه وكان هو رب المجد نفسه ، ندخل إلى القلاية لنأخذ القوة وبدون الدخول يحدث التشتت والضياع والفراغ النفسى والنرفزة « يدخل ويخرج ويجد مرعى » (يو ١٠:٩) والاثنان مرتبطان باليقظة الروحية .

تـأمـل :

أدرس (أع ٢:٤٣ــ٤٧) وبين كيف أن الجماعة الأولى فى أورشليم التزمت بحياة الشركة . ثم بيّن فوائد تلك الحياة لهم من مختلف النواحى .

الدرس الثانى عشر ــ التفاهم فى الجماعة

دار هذا الموضوع على صورة ندوة . ونحن نسجله هنا بنفس الصورة قدر الامكان حفاظا على الفكر الحر .

استدعى المتكلم ثلاث أخوات ليشتركن فى الحديث عن « التفاهم فى الجماعة » وكانت النتيجة ثلاث وجهات نظر هى : أساسيات التفاهم ، روح الحوار ، قواعد التفاهم :

ثم دارت مناقشة حول الموضوع وفيما يلى ملخص ما جرى حسب ترتيب المناقشة .

أولاً ــ عرض الموضوع :

الرأى الأول : توجد أساسيات أو مبادىء للدخول فى التفاهم مع الجماعة الخاصة .

١ ــ الحياة الإنسانية الاجتماعية متعة والإنسان اجتماعى بطبعه وينمو فى الجماعة . من أجل ذلك صار الأساس الأول أن نحب الناس بالتعرف عليهم ودراسة فن معاملتهم والاهتمام بهم على أختلاف جنسهم ولونهم وعقيدتهم وديانتهم وثقافتهم .

٢ ــ الاستعداد للانفتاح على الإنسان الآخر الذى خلق على صورة الله مثلك . والذى هو عضو فى ذات الجسد بهدف زيادة الفهم والفضيلة والمرونة .

٣ ــ الاستعداد لقبول الأهانة من كل إنسانٍ أو من الشخص الذى تريد أقامة تفاهم معه . وأنت كإنسان تريد أن تخدم وتتفاهم معه ومع ظروفه المختلفة .

٤ ــ التعامل فى مجتمع آخر مختلف المشارب . فأنت لا تود أن يكون الآخر صورة منك . أو أن تتحول أنت إلى شخص آخر ويلزم العمل بحب ، والتزام وسط الاختلاف .

الرأى الثانى : التفاهم فى الوسط المحيط :

أقامت هذه الأخت علاقات طيبة بينها وبين المحيط الذى خدمت فيه ومن مظاهرها :

١ ــ محبة الناس واحترامهم وزيارتهم ومجاملتهم فى ظروفهم والاستماع إلى أحاديثهم ومشاكلهم .

٢ ــ احتمال وضع البيئة غير المتطورة التى يعيش فيها هؤلاء وعدم الاستياء منهم أو الاشمئزاز بسبب عدم نظافتهم .

٣ ــ مساعدتهم فى تنمية وضعهم مع عدم الخروج من بيئتهم باستخدام وسائل البيئة المحلية .

٤ ــ ارشادهم عند طلب النصيحة والثقة بهم .

وهناك احصائية تقريبية تبين أن مجتمعنا فى حاجة ملحة للخدمة :

المكفوفون والمعوقون فى مصر عددهم ٣ مليون .

المتخلفون عقليا ١/٢ مليون .

وهذا المجموع = ٧٪ من مجموع الشعب المصرى .

الرأى الثالث : التفاهم فى الحالات :

تقول الأخت « ان المجتمع الخاص فى الدير علمنى كيف أعيش وأخدم المجتمع الكبير » . واكدت على ثلاثة أمور لمن يريد الدخول فى وسط الذين تأثروا بمشاكل المجتمع بهدف كسب الآخرين :

١ ــ الاستعداد للدخول إلى المجتمع الإنسانى بالحب سواء كانوا أطفالا أو ريفيين أو متعلمين عن طريق مصادقتهم .

٢ ــ ازياد قيمة الناس حديثى السن والكبار فى السن .

٣ ــ التعرف على المشاكل المختلفة التى قد تدخل ضمن هؤلاء :

+ المحتاجون إلى العطف والأمن : قد تبحث الفتاة عن العطف والأمن ويخدعها الآخرون . وتتقبل منهم سلوكهم بسبب كثرة قلقها .
+ البحث عن وجود كيان للفتاة فى البيت .
+ الاحتياج المادى ، وخاصة بين شباب المرحلة الثانوية والجامعة .

خلاصة ما سبق :

١ ــ يلزم الأستعداد إلى الدخول فى المجتمع الغريب ، وعدم النفور منه . فإنه عن طريق المحبة ينمو عندنا تقدير الإنسان .

٢ ــ التعرف على المشاكل التى تبحث عن العطف والصداقة والكيان والاحتياج المادى .

ثانيا ــ الحوار :

كيف نوجد الجماعة المتفاهمة :

يقوم التفاهم على فهم الأشخاص والمرونة فى المعاملة والترويح عن النفس . وتوجد **أربع** نقاط أساسية :

١ ــ المناقشة والتفاهم وأسلوبهما :

هناك من يناقش ليس لكى يصل إلى حقيقة بل لأنه يعتقد أن رأيه سليم وهو يُريد أن يفهّم غيره الموضوع . هذا التفهيم قائم على استبداد وكبرياء . لكن التفاهم السليم قائم على البحث عن الحقيقة وهذا هو أسلوب الوصول إلى الحقيقة فى صورتها المناسبة .

والتفاهم يشبه المعمل أو المطبخ الذى يعمل فيه الإنسان ويراقب تفاعل المواد . فيتعلم دائماً أموراً جديدة . بتعامله مع العقول والأفكار .

إن التفاهم متعة الإنسان . وجاءت هذه العبارة التالية بنصها :

« **ان ما يثيرنى جدا هو رؤية أى إنسان مستبد . أى متشبث برأيه . لأن من يصرّ على رأيه يكون جباراً فى معاملته** ، سواء كان هذا الإنسان طفلاً أو كبيراً ، عادياً أو راهباً » .

والراهب يستبد برأيه حينما يستخدم أسلوب المسوح والرياء والوداعة ولكن دماغه ناشف ولا يغير رأيه . يقول : أنا صغير ولكنه ناشف مثل الحجر الذى يصدم فيجرح . أما التفاهم فهو أسلوب السعادة والارتياح .

٢ ــ الاجتماع المفيد واسلوب النقاش الجماعى :

يحدث كثيرا أن نجتمع معا ونخرج من الاجتماع بدون فائدة بعد أن نكون قد تشاجرنا . لكن الاجتماع المفيد له عدة نقاط نتفق عليها : ونشجع الكل على ابداء الرأى ، ونسجل ما اتفقنا عليه ولا نعود إلى مناقشته مرة أخرى ثم نسجل النقاط التى خرجنا بها من الاجتماع لتنفيذها ونتابعها .

كيف أدير جلسة الاجتماع ؟

بتحديد الوقت لكل رأى بتشغيل الدائرة وعدم ضياع الوقت .

من يدير الجلسة ؟

يديرها أى إنسان نتفق عليه . سمعنا أنه حدث مرة فى مؤتمر للآباء الكهنة أن كانوا مجتمعين فى فناء الكنيسة فى دير بياض — بنى سويف وكان أحد الآباء الكهنة يدير الجلسة عندما دخل واحد من الآباء الغرباء وكان نيافة المطران قد رفع أصبعه طالباً أن يتكلم ولم يره مدير الجلسة لمدة طويلة فثار الأب الضيف وتضايق أنه وجد أبا يدير الاجتماع وليس نيافة المطران .

٣ — أسلوب توزيع الأعمال :

من المهم جدا أن يفهم الإنسان عملية الإدارة ويتدرب عليها ويتقنها ويباشرها ويتابعها . وهذا يجعل المسألة سهلة .

أ — وضع البرنامج .

ب — توزيع المسئولية .

جـ — متابعة الأعمال .

٤ — القائد الأمين : أمامه ثلاثة جوانب مثل المثلث .

أ — **يدرك العمل** ، والمبادىء والأهداف ، والبرنامج وتفصيلاته .

ب — **محب** واضح المعالم **وموضوعى** يستطيع أن يكسب الذى أمامه .

جـ ــ **مدبر** شخصيته وحياته كلها **مبادىء** . وكان نيافة الأنبا متاؤس الأسقف العام حاضراً هذه الجلسة فقال : « إذا كنت متواضعا تستطيع أن تعيش مع الوحوش » وأيضا « عتاب الأحبة يزيدهم مودة » .

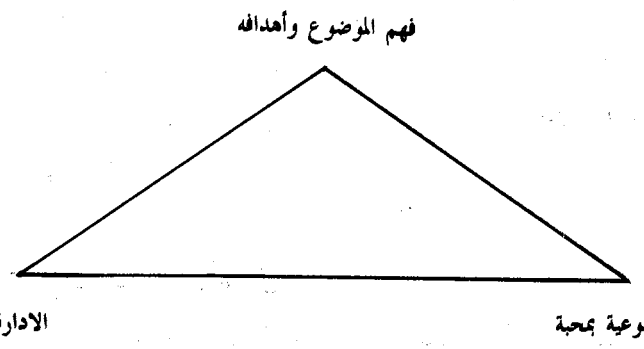

ـ**ثالثا ــ قواعد التفاهم** : الأسلوب الذى يحفظ الجماعة متفاهمة له جوانب ثلاثة :

أ ــ **الجانب الإنسانى :**

١ ــ احترام مسئوليات الغير .

٢ ــ التشجيع فى مواقف الضعف .

٣ ــ أعطاء الشخص حرية أبداء الرأى دون تجريح فى الآخرين .

٤ ــ فهم الأشخاص .

٥ ــ الشركة فى الصلاة .

ب ــ جانب العمل :

١ ــ فهم العمل .

٢ ــ الشركة فى العمل .

٣ ــ قبول النقد والتصحيح .

٤ ــ اكتشاف التقصير .

جـ ــ الادارة الجماعية :

١ ــ الاجتماعات الدورية .

٢ ــ جلسات العمل المنظمة (حرية الرأى ، والتفاهم والتقدير والاحترام) .

٣ ــ دور المسئول والمشرف فى التوجيه والتشجيع واحتماله وصبره أساس التفاهم .

أننا فى مجتمعات الرهبان نجد أحيانا تمسكا بالأمور الصغيرة . بل يلزمنا ألا نهتم بالأمور الصغيرة ونتعلم الاسراع إلى حفظ وحدانية الروح ، وصنع السلام ، وحسن الظن ، وايجاد أسباب متعددة للثقة والتماس الأعذار للغير .

نرجو أن يكون لكل مؤسسة « دفتر اجتماع ومتابعة » يجلس الأعضاء معاً ، والمسئولون يعقدون جلسات دورية ويباشرون تنفيذ العمل . فإن الكنيسة هى جماعة المدبرين ، كما أنها جماعة المؤمنين .

فعلى المدبرين فى علم ما أن يتفاهموا ويدبروا الجماعة حسنا فهم أيضا كنيسة خاصة . والتزامهم برباط جماعتهم التزام كنسى .

تعهدوا أن لا تزعلوا من بعضكم ، وإذا زعلتم فاصرفوا الزعل بسرعة ، وليس تصريفا مؤقتا فالزعل لا يمنع الالتزام والاستمرار فى العمل .

« لا تغرب الشمس على غيظكم » (أف ٤:٢٦) .

تـأمـل :

عرض فى هذا الموضوع آراء ثم
تفاعل هذه الآراء ثم
نتائج التفاعل المنتهية إلى قواعد
للتعامل
وللاجتماعات
ولأداء الأعمال

ادرس هذا الموضوع وحدد أمرين :

١ ــ ما تلتزم به لتكون متفاهماً .

٢ ــ ما تقدمه لأدارة الدير من آراء واقتراحات .

انتهى الآن الباب الثانى من هذا الكتاب
كان الباب الأول عن معالم الطريق

وكان الباب الثانى عن « الروح الواحد »

ويحوى : ٩ الشركة الروحية فى المسيح

١٠ روح الجماعة

١١ التزام بالشركة

١٢ التفاهم فى الجماعة

راجع ما كتبته من مذكرات عند نهاية الباب الأول وافحص نفسك إلى أى حد التزمت بها .

ثم راجع الباب الثانى وحدد ما تلتزم به لتسهم فى حفظ الروح الواحد غير متجاهل المحاربات التى يحارب بها أعضاء الدير فى هذا الجانب .

الباب الثالث ــ صور من الحياة
الدرس الثالث عشر ــ التدبير الرهبانى

فى الحياة الرهبانية تلزم محاسبة النفس ومراجعتها من وقت لآخر . وفيما يلى موضوع ليستعين به الراهب فى هذا الموقف من مراجعته لنفسه فرديا أو بين الحين والحين . ويساعده أيضا فى تسجيل ملاحظاته الروحية كما أنه يعين المسئولين فى تدبير الأخوة ومراقبة نمو النفوس .

ان لنمو النفس مع الرب جوانب أساسية يمكن أن نلخصها فيما يلى :

أساس الحياة مع الله هو فعل الروح القدس فى الإنسان وتفاعل هذا الإنسان مع الروح القدس . وهذه هى الحياة الجديدة « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣:٦) فالحياة فى المسيح حياة قائمة بالروح القدس فى قوتها وصورها ونموها . وليست نتيجة لعمل البشر وإنما هى عمل الله .

ولأجل أن يثبت الإنسان فيها ويثمر عليه أن يسلم كل يوم نفسه للرب لكى يميت منه الضعفات ويعطيه ثمار الروح . هذا وان ملكوت الله لا يأتى بمراقبة فليس هناك مقياس تقاس به الحياة

الروحية كل يوم وإنما هناك جوانب يمكن أن يطلب فيها الإنسان النمو سواء من ناحية التخلص من الضعفات أو النمو فى الفضيلة .

فالكتاب يقول عن التخلص من الضعفات : « أن قدرته الالهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة . اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة . ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى ايمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة . وفى المعرفة تعففا ، وفى التعفف صبرا وفى الصبر تقوى . وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة . لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح . لأن الذى ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر قد نسى تطهير خطاياه السالفة » (٢بط ١:٣ــ٩) .

وأما عن النمو فى الفضيلة فيقول معلمنا بولس :

« وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » (غل ٥:٢٢) .

إذن فالحياة أساساً حياة روحية وبما أنها حياة روحية إنسانية فإننا فى الدير ننظر إليها من جوانب :

١ ــ **التدبير العاطفى** : العاطفة فى الإنسان الجديد بالتخلص من الطبع ، وبالهدوء والفرح .

٢ ــ **التدبير العقلى** : بالتأمل فى الرب والتفكير فى الالهيات والصلاة الدائمة ودراسة كلمة الله .

٣ ــ **التدبير العملى** : تعلم الأعمال والطاعة والتنظيم .

٤ ــ **التدبير الجماعى** : تدبير الأعمال ووحدانية الروح .

ونحن نضع ايضاحا لبعض هذه الجوانب لتساعد الراهب على مراعاة مسار حياته الروحية سلبيا وايجابيا .

أولاً ــ التدبير العاطفى :

أ ــ **هدوء النفس** : النفس كالبحر إذا توقفت المراكب عن السير فيه ، وقفت التيارات الهوائية والمائية ويصفو ويرسب التراب إلى القاع ويمكننا أن نرى ما بداخله ويجب أن نتذكر أن الإنسان حين يطلب السكون يحاربه الشيطان بالأفكار .

يقول مار أسحق : « اننا لا ندان لأجل تحرك أشكال وأفكار الطياشة فينا ، بل نجد نعمة إذا لم نوافقها وقاتلناها ، ولكن ندان إذا كنا نوافقها ونعطيها وقتا فينا » .

فعلينا أن نغلق على الأفكار ونضبط الجسد والروح فى أوضاع الصلاة والتأمل لنسير مع الله ونرى ما هو بداخلنا .

ويقول أيضا مار اسحق :

+ ليس كل هادىء متواضعا ، بل كل متواضع هادىء .

+ متواضع ولبيب غير مستحٍ لا تجد . مستح غير متواضع كثيرون .

والمتواضع فى كل وقت يكون هادئا ، لأنه لا شيء يحرك ويزعج ضميره .

+ المتضع العقل هو الذى إذا مدح ، ولو عن استحقاق لا يستريح قلبه . المتواضع هو الذى لا يقاوم فى شيء ، الذى يشتعل بالغضب فى تقديم الغير ليس متواضعا ، لأن التواضع الحقيقى بعيد عن كل غضب ، ونقى من سائر حركات الغيرة ، ويسأل فى محبة وتواضع ، ولا يحزن ولا يتكدر ، لأن من هو متواضع تلازمه دائما وأبداً قوة الاحتمال والصبر .

تدريب :

حدد ضعفات طبعك وما يجب أن يكون بدلاً عنها .

تفاهم عليها مع مرشدك الروحى . صلِ عنها دائماً ، مارس ما هو عكسها من الصفات الصالحة .

ثانياً ــ التدبير العقلى :

أ ــ **التأمل فى الرب والتفكير فى الألهيات** : كلمة الله تغذى وتشبع النفس . والتفكير فى الالهيات لا يعنى التفكير فى الأمور الدينية انما هو التأمل فى تعزيات الله . ولا يعنى الدراسة الدينية وانما هو الغذاء الروحى بالتأمل لأنه قد تكون

الدراسة مشغولية عقلية مباركة لكن الإنسان يحتاج معها إلى أوقات تأمل روحى للشبع بالاستماع إلى صوت الله والنظر اليه .

قيل عن الأم سارة أنها كانت ساكنة فوق النهر ٦٠ سنة لم تطلع البتة لتنظره مما يدل على بطولتها فى حفظ الحواس وسكون الفكر .

ب ــ **الصلاة الهادئة ودراسة كلمة الله** : وذلك فى القلاية وأوقات الخلوة .

كان رجال الله يعملون أحيانا بعيداً عن المدن أو فى أماكنهم الخاصة . (التلاميذ فى علية صهيون ــ بطرس وكرنيليوس ــ اليشع فى بيت الشونمية) ونحن نرى حياة الهدوء والوداعة والسلام واضحة فى حياة القديسين وهم يؤدون أعمالهم العادية ومثلما كانت السيدة العذراء تعمل أعمال البيت ، وترضع الطفل يسوع ، وتحتمل آلام صلبه وهى فى حالة اتضاع أمة وانسحاقها .

تدريب :

كل يوم خصص وقتا . ادرس فيه جزءا صغيرا من الكتاب ثم اجعله موضوع تأمل وصلاة . اجعل صوت الروح فى الكتاب منطلق صلاتك إليه . خصص وقتا لذلك ومارسه .

ثالثاً ــ التدبير العملى :

١ ــ تعلم الأعمال :

أ ــ المرور على سائر الأعمال :

+ الشعور الدائم بالحاجة إلى التعلم « علمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه » (خر ١٨:٢٠) .

+ الوداعة عند المتأملين تظهر فى النسك ، وعند غيرهم فى العمل ، ليس الأعمال المنزلية فقط بل الخدمات أيضا .

+ لذلك ينتقل الراهب فى الأعمال التى يتقنها والتى لا يتقنها والأعمال التى يُحبها والتى لا يُحبها ويتعلم الليونة فى يد الله .

+ البحث عن أخى وعن العمل فى الجماعة وفى فرعيات العمل الواحد بترتيب وبتطوع .

+ نكمل بعضنا بعضا . اكمل عمل أخى حين لا يقدر هو أن يُكمله .

ب ــ العمل الفقير :

+ يأخذ الراهب عملاً يدويا وفقيراً بجانب أى عمل آخر .

+ يشعر بأن كل عمل هو لقاء مع المسيح فى شخص الفقير أو المريض أو المسن أو الطفل .
+ لا يقول راهب عن عمل ان هذا ليس من واجبه .
+ يُلاحظ الراهب نفسه ان كان يقبل العمل الفقير برضى .

قال الأنبا انطونيوس :

+ اختر التعب فهو يخلصك من جميع الفواحش ، مع الصوم والصلاة والسهر لأن تعب الجسد يجلب طهارة القلب ، وطهارة القلب تجعل النفس تثمر .
+ أهم أسلحة الفضائل هى اتعاب الجسد بمعرفة (بقدر وبافراز) أما الكسل والتوانى فيولدان المحاربات .
+ اتعب جسدك لئلا تخزى فى قيامة الصديقين .
+ البطالة موت وسقوط للنفس[1] .

جـ ــ طريقة أداء العمل :

+ كتابة توجيهات وايضاحات لاستعمال الأماكن المختلفة .
+ تسجيل شرح الاعمال كلما أمكن .

(١) سمو الرهبنة ص ٧٠ .

+ أترك الشيء بحالة جيدة مثلما أحب أن استلمه .
+ اقبل التوجيه دون غضب .
+ يكون التوجيه بمحبة ولطف حين يصدر منى خاصة .
+ أضع الشيء الذى آخذه فى مكانه .
+ إذا أخذت شيئا يجب علىّ أن أعلن ذلك للأمين أو المسئول عن العمل المتعلق به هذا الشيء مهما كان بسيطا .
+ لا نعتبر أنفسنا أو أى إنسان يعيش طبيعيا دون عمل أو أنه لا غنى للعمل عنه لأنه أحيانا فى بعدنا عن العمل نترك فرصة لنضوج غيرنا من الشخصيات . والاستفادة والتنظيم لا ترتبط ارتباطا أبديا بأى إنسان .

سمع موسى لصوت حميه وأخذ بمشورته فى القضاء ولما نجحت « صرف موسى حماه فمضى إلى أرضه » (خر ١٨:٢٧) .

٢ ــ التنظيم :

هناك أعمال أساسية فى الدير لها أثر كبير على حياة الرهبان .

١ ــ تدبير الحياة اليومية : أى المواعيد والدخول والخروج والنظافة والصيانة ويعمل بها جداول .

٢ ــ **المضيف (الذى يستقبل الضيوف)** لأن استقبال الضيوف وتدبير أمر اقامتهم يساعد الدير على النظام ويعطى الآباء والأخوة الرهبان استقراراً .

٣ ــ **الخازن (ولديه المخزن)** وعليه خزين اللوازم المختلفة وخاصة الأطعمة البسيطة الرهبانية .

٤ ــ **أمين المطبخ** : وله صفات خاصة وعليه مسئوليات كثيرة . فهو :

دقيق ــ سريع ــ نشيط ــ منظم ــ يحسن التعاون ــ بشوش ــ مدبر ــ لديه طول روح وصبر .

+ **المسئول :**

+ يضبط مواعيد الوجبات .
+ يعرف العناصر الغذائية للوجبة الكاملة فى أيام الأفطار والأصوام .
+ يعرف الطريقة السليمة لطهى الطعام للمرضى والأصحاء ويتجنب الطرق التى تقتل العناصر الغذائية .
+ يحافظ على ترتيب المطبخ وعلى الآلات والمواد ليسهل استعمالها .
+ يتقن طريقة تقديم الطعام ، والمحافظة عليه والانتفاع من الفضلات .

+ عنده دفتر مكتوب فيه المطلوب كل يوم أو كل أسبوع .
+ مواجهة الطوارىء .

رابعاً ــ التدبير الجماعى : تدبير الأعمال ووحدانية الروح .

وقد سبق الحديث عنه فى نفس الدرس الذى نحن بصدده ، وفى الدرس رقم ٤ « الروح الديرية » فالرجا مراجعة ما جاء سابقاً وكتابة ملاحظات .

اترك طبعك ومارس الطباع المسيحية المطلوبة ــ تأمل فى الرب بهدوء وفرح وادرس فى أحكامه بخضوع ورهبة . اتقن عملك ، وتدرب على أدائه بهدوء واتقان وسرعة .

اسرع إلى حفظ وحدانية الروح بصنع السلام بين الأخوة .

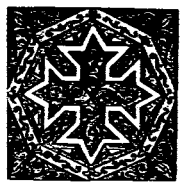

الدرس الرابع عشر ــ الجماعة المستقرة

يقول سليمان الحكيم « الحاكم المصغى إلى كلام كذب كل خدامه أشرار . الفقير والمربى يتلاقيان الرب ينور أعين كليهما . الملك الحاكم بالحق للفقراء يثبت كرسيه إلى الأبد . العصا والتوبيخ يعطيان حكمة والصبى المطلق إلى هواه يخجل أمه . إذا ساد الأشرار كثرت المعاصى . أما الصديقون فينظرون سقوطهم . أدب ابنك فيريحك ويعطى نفسك لذات . بلا رؤيا يجمح الشعب . أما حافظ الشريعة فطوباه . بالكلام لا يؤدب العبد لأنه يفهم ولا يعنى . أرأيت إنسانا عجولا فى كلامه الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به » (أم ٢٩ : ١٢ ــ ٢٠) .

ويتضمن هذا الجزء من سفر الأمثال ثلاث نقاط هامة :

١ ــ الصدق والثقة .

٢ ــ التربية والتوجيه والارشاد .

٣ ــ رؤية المستقبل والاستعداد له .

١ ــ الصدق والثقة

ربما يقول الرهبان إنه ليس فينا من يكذب ، وإنما هناك تصورات خاطئة وتصرف بناء على هذه التصورات . وحينئذ كأننا نكذب

بعضنا بعضا . لكن الصدق ليس فقط أن أقول الصدق بل أن أصدق أخى أيضا .

أحيانا يتصور أخ شيئا فى أخيه وعندما يقال له : ربما الأخ لا يقصد هذا . يتمادى الأخ فى عدم التصديق . والرب يسوع قال : « ان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا » (مت ٦:٢٢) وبساطة العين تعنى التصديق . والغريب فى آية ١٢ أصحاح ٢٩ من سفر الأمثال أنها تقول : « الحاكم المصغى إلى كلام كذب ، كل خدامه أشرار » أى أنه إذا شجع الحاكم عدم التصديق يسود الشر ويكثر الكذابون .

أيها الأخوة : ليس هذا الكلام بعيدا عنا . أنه موجود فى أى مجتمع . فأحيانا نجد كل واحد يشك فى أخيه وتشتد الحالة حتى كأننا نتصور زلزالاً أو بيتا يتضعضع بسبب أن كل أخ لا يعجبه أخوه ويخيل له أن يبتعد عنه . ويحدث هذا بسبب عدم أغلاقنا باب الشك والتصورات الخاطئة . ونكذب بعضنا بعضا بالتصور . وكان من الواجب أن نكون بسطاء وأن نثق أن الكلمة التى تقال هى الصدق ونأخذ الكلام على مظاهره وبذا ينتشر جو الثقة والاطمئنان وهذا أمر ضرورى خاصة فى جماعة الرب .

٢ ــ التربية والتوجيه والارشاد

ولعل هذا ما يسمى فى الرهبنة بتدبير الطاعة وهى الطاعة المرتبطة بالثقة والتصديق لذلك كانت الكلمة مقبولة .

وقد جاء الكثير عنه فى البستان .

قال الأنبا انطونيوس :

+ لا تقم بعمل من الأعمال إلا بعد استشارة أب الدير .

+ ينبغى للراهب الشاب أن يستشير الشيوخ قبل كل خطوة يخطوها فى قلايته ، وقبل كل نقطة ماء يشربها ، لأننى رأيت رهباناً كثيرين بعد أن تعبوا كثيراً ـــ وقعوا فى دهشة عقل لأنهم توكلوا على معرفتهم فقط إذ لم يصغوا للوصية القائلة :

« اسأل أباك فيخبرك ومشائخك فيقولون لك »[1] .

وقالت القديسة سفرنيكى :

« **إذا كنا فى المجمع فإننا نفضل الطاعة على النسك . لأن النسك يعلم التعاظم والطاعة تعلم التواضع** . فيجب علينا الا نتعبد لمشيئتنا الخاصة »[2] .

وقال القديس برصنوفيوس :

+ ان لم يترك التلميذ رغباته خلفه ويخضع فى كل شىء ويتضع لن يبلغ مدينة السلام[3] .

---

(١) البستان ص١٨٠ .

(٢) البستان ص١٧٨ .

(٣) البستان ص١٧٨ .

٣ ــ رؤية المستقبل والاستعداد له

« بلا رؤية يجمح الشعب » (أم ٢٩:١٨) ولعل الترجمة الحرفية هى « بلا رؤية يصير الشعب فى فراغ » أى أن الرؤية هى دراسة الظروف والمستقبل وهى التى تساعد الإنسان على السلوك ومواجهة المستقبل .

وعدم التطلع إلى المستقبل ودراسة المواقف العديدة يجعل الإنسان وكأنه فى بيت فيه علامات التصدع ولا يريد أن يصلحه . فبعد قليل يجد نفسه فى الخلاء والعراء أما إذا رأى الخطر واستعد له فيظل مستترا . وقد أوصانا الرب بهذا حين قال المثل « من منكم وهو يريد أن يبنى برجا لا يجلس أولاً ويحسب النفقة » (لو ١٤:٢٨) .

كما أنه أخبر التلاميذ عن خراب أورشليم وأوصاهم أن يهربوا منها عندما يحيط بها جنود الرومان (لو ٢١:٢٠) وهذه النبوة حافظت عليهم .

قالت الأم سارة : « أننى أضع رجلى على السلم لأصعد فأتصور الموت قدامى قبل أن أنقل الرجل الثانية » .

« أولئك يارب الذين أشرقت عليهم بشعاع من حبك لم يحتملوا السكنى بين الناس ، بل ألقوا عنهم كل حب جسدانى وتغربوا عن كل شىء فى طلب الحبيب .

نزعوا كل أفراحهم وذهبوا يلتمسون طريق الحبيب بالدموع ، بكوا لما وجدوا أنفسهم فى الطريق غير مستأهلين لجمال المحبوب ..

ساعة أن أدركوا شهوة حب الوحيد ما صبروا أن يبقوا فى أفراح العالم لحظة ، ولما لم يجدوا عندهم شيئا يليق بتقديمه إليه قدموا ذواتهم بالحب على مذبحه وأسلموا أجسادهم حتى الموت فرحين إذ وجدوا شيئا يقدمونه اليه ..

آه منك أيها الحبيب ... لقد سلبت منهم كل شيء » .

الشيخ الروحانى

قصة القديسة أناسيمون الملكة السائحة

عاشت القديسة أناسيمون كهبيلة لكنها قادت بسيرتها كثيرين للتوبة وصارت سائحة لها دورها فى حياة السواح أنفسهم ... وكأن المسيحى لا يستطيع أن يوقف عمل نعمة الله فيه حتى وإن حاول بكل طاقاته أن يخفيها .

نشأتها :

قيل ان أناسيمون كانت ابنة ملك الروم وحيدة وتقية ، قرأت كثيراً عن سير الآباء فأحبت الحياة النسكية ، وكانت تسلك بروح

إنجيلى تقوى وهى فى القصر . وإذ توفى والدها أقيمت ملكة بغير رضاها ، إذ كانت تود الحياة الرهبانية .

خروجها إلى البرية :

مرّ عام على تجليسها ملكة خلاله قدمتْ الكثير للفقراء والمحتاجين وحررت الكثير من العبيد ، أخيراً قررت أن تترك كل شىء وتتفرغ للعبادة . كتبت رسالة للأب البطريرك تركتها فى حجرتها ، وخلعت ملابسها لترتدى ثوباً بسيطاً ، وخرجت عارية القدمين تتسلل من القصر فى منتصف الليل لتنطلق خارج المدينة ، وتسير فى البرية .

حاربتها أفكار العودة للقصر لكنها أصرت أن تحتمل كل قسوة البرية متعبدة لله ... وفجأة أثناء صلاتها فى يوم من الأيام شاهدت أسداً يقترب منها ، فصلت إلى الله ورشمت عليه بعلامة الصليب ، وللحال هدأ . بل التف حولها عدد من الأسود كانوا يلاطفونها وتلاطفهم ، وشعرت كأنها قد صارت ملكة على الوحوش ... لكنها اشتاقت أن تتجرد حتى من تكريم الوحوش لها ، فوضعت فى قلبها أن تعيش فى الصف الأخير تخدم الكل دون طلب كرامة ، فسارت إلى مصر حتى اقتربت من أحد أديرة النساء يدعى دير إرميا وتظاهرت بالجنون ، ولما أمسكها الراهبات خشية أن تتعرض لأذى تظاهرت بالإرتياح إليهن ، وسألتهن أن تخدمهن وتقوم بتنظيف دورات المياه ، وكانت تبدو كمن هى « هبيلة » ولا تنام إلا على المزبلة .

الأنبا دانيال فى دير أرميا :

فى أحد الليالى قرع الراهب باب الدير ، ولما سألته البوابة عن طلبه أجابها أنه يود أن يبيت الليلة مع معلمه بالدير خشية أن يتعرضا للحيوانات المفترسة ، لكن الرئيسة رفضت أن تفتح ، فأخبرها أنه جاء مع الأب دانيال قس البرية ، ففرحت الرئيسة وفتحت الباب وإنطلق الكل يستقبلن إياه . وقبل أن ينصرفن سألهن إن كانت توجد أى راهبة أو أخت هنا ، فأخبرن إياه عن « الهبيلة » . ذهب إليها الأب دانيال فلم تعره إهتماماً ولا سلمت عليه ، فكانت الراهبات يقلن له : إنها معتوهة ... أما هو فأجاب : « حقاً أنا هو المعتوه والجاهل والمسكين » .

وإذ إنصرف الكل أراد التلميذ أن يستريح فقال له الأنبا دانيال ألا ينام ليرى هذه المعتوهة .

أخذه معه إلى حيث ينام فوجداها واقفة تصلى وتصنع مطانيات ، والنور يخرج من يديها ، والملائكة تحيط بها . فأسرع التلميذ ونادى الرئيسة التى رأت المنظر فصرخت وأسرعت إليها تطلب منها السماح . وإذ جاءت الراهبات يبكين ويعتذرن لها على ما صدر منهن صمتت تماماً ... .

فى الصباح ذهبت الراهبات إلى حيث كانت تنام فوجدن الفتاة قد هربت ، تاركة ورقة جاء فيها :« أنا الشقية ، لشقاوتى ومعاندة

العدو لى أخرجنى من بينكن ، وأبعدنى عن وجوهكن المملؤة حياة . إهانتكن لى كانت ربحاً لنفسى ، وضجركن علىّ كان ثمرة تجمع كل يوم . إستقلا لكن عنى كان فائدة ورأسمال يزداد كل يوم وساعة . مباركة هى تلك الساعة التى قيل لى فيها ياهبيلة ، يامجنونة . وأنتن مسامحات من جهتى بريئات من الخطية ، وإنى قدامكن وقدام المنبر سوف أجيب عنكن لأجلى ، ليس فيكن مستهزئة ، ولا من هى محبة للحنجرة ، ولا للملبس ، ولا للشهرة ، بل كلكن نقيات » .

خرج البعض يبحث عنها خارج الدير لكنها إختفت تماماً .

كاهن بالإسكندرية :

دخل كاهن بالإسكندرية فى فجر خميس العهد صحن الكنيسة فإشتم رائحة بخور زكية تفوح بشدة ، لم يعرف مصدرها ، فأخذ يبحث عن المصدر ... دخل الهيكل فوجد إنسانا مهوباً يقف أمام الهيكل بخشوع ، فسقط أمامه . أسرع الشخص وأقام الكاهن ثم طلب منه قليلاً من الدقيق والأباركة ليستخدمها فى القداس الإلهى الذى يحضره أربعمائة شخص . سأله الكاهن عن مكان هؤلاء الإخوة ، فأجابه بأنه ليس له أن يعرف ذلك ، إنما إن أراد فليقدم هذه البركة . قدم الكاهن هذه البركة ، ثم سأله أن يأخذه معه ، فإعتذر أنه لا يستطيع . وإذ ألحّ عليه قال له أعطيك جواباً فى مثل هذا اليوم من السنة القادمة .

مرّ عام بدى طويلاً جداً فى عينى الكاهن حتى جاء خميس العهد ، ودخل الكنيسة ليشتم ذات الرائحة ويلتقى بنفس الشخص ويقدم ذات العطية ... وصار يسأله أن يأخذه معه ، فلما ألحّ عليه جداً قال له أن يأخذ مثل هذه البركة وينتظره فى مثل هذا اليوم فى السنة التالية خارج المدينة عند الباب الغربى ... .

مرّ عام آخر وحمل الكاهن البركة وإنطلق إلى خارج المدينة ليجد بعد قليل الشخص قادماً إليه ، وسأله أن يمسك به ليجد نفسه كمن هو محمول على سحابة ... وإذا به فى كنيسة جميلة للغاية ، لم ير مثلها قط .

بعد فترة بدأ القداس الإلهى وتناول الجميع ... .

رأى الكاهن شخصاً كبيراً فى السن يقف عند باب الهيكل يسنده شخصان ، واحد عن اليمين والآخر عن اليسار ، وإذ سأل عنه الكاهن قيل له : إنها عذراء هى القديسة الملكة أناسيمون دخلت فى طغمة السواح الذين يجتمعون معاً سنوياً من خميس العهد حتى أحد القيامة .

أراد الكاهن أن يبقى معهم لكن الرجل أخبره بأنه يلزم أن يعود إلى كنيسته ويرعى شعب الله ، وبالفعل رده إلى الأسكندرية ... وكان هذا الرجل يزور الكاهن سنويا حتى قرب نياحة الكاهن .

نبيه نصر رزق : من كنوز الأديرة : القديسة أناسيمون ، القديسة أفروسيا ، الأب بينودة ، ١٩٧٣ .

الدرس الخامس عشر ـ الخدمة والمواهب والمحبة

(١كو ١٣:١ــ٨ أ)

قد تكون محباً للخدمة ، وتخدم كثيرا . وقد تكون لديك مواهب متميزة ونافعة ومرموقة فى وسط الجماعة . وقد تكون مضحياً إلى درجة بعيدة . هذا جميل جدا ولكن قد تكون تنظر إلى الأخوة أو بعضهم بغير تقدير . أو تتضايق منهم أو من واحد بالذات ولا تحب التكلم معه لأنه لا يفهمك ، وقد حاولت مراراً أن تجعله يفهمك ويعمل كما تريد فلم يتجاوب .

هل تحس فى خدمتك أنك مضح جداً وأن الأخوة لا يحسون بذلك ؟

هل تحس أن لديك الكثير الذى يجب أن يفهمه الآخرون ويستفيدون منك ولا يفعلون !

قد يكون سبب ذلك كله نقص محبة فى قلبك أو بالأحرى قد تكون محبتك متعوجة ، وغير سائرة فى الطريق السليم .

الآيات الثلاثة الأولى فى الأصحاح :

١ ــ ان كان لى تميز علمى ، وأعلمّ . ولى حكمة وعلوم عالمية

أيضا . وخدمتى معروفة وأنا متفانٍ فى الخدمة . أخدم مرات فى الأسبوع الواحد . وأعطى دروساً روحية وأقرأ الكتب . وقد تكون لى جلسات طيبة مع الناس وتأملات فى الكتاب .

وقد تكون فائدة خدمتى وتعليمى مشهوداً لها . ومع هذا تكون محبتى ناقصة أو متعوجة .

٢ ــ وقد يكون لى أحساس روحى ، وأفهم الشخصيات وأميز المواقف ، وحين أقول رأيى فى موضوع يكون هذا الرأى صحيحا فى الغالب ، وحصيفاً وروحيا .

٣ ــ وقد يكون لى عزيمة ثابتة ، وخدمات قوية واضحة . وقد أكون خلصت الكثيرين وتعلمت منى نفوس عن الرب . وعملت أعمالا ضخمة كأنها نقل جبال . أشكر الله أن كثيرين انتقلوا من الشر إلى الخير كما من جبل عيبال إلى جبل جرزيم ، وقد وقفت قدام الله كثيرا تشكره على أنه نقل البعض وطبعا نقلك أنت عبر الهوة السحيقة التى تكلم عنها أبونا إبراهيم مع الغنى . وخدمت الصغار والكبار والفقراء والقرويين وأقمت مشروعات . وقد يكون لك اسم معروف ولك فضل فى قيام الدير . وقد تحس أنه سيكون لك عمل كبير بينهم . ولكن قد تكون محبتك ناقصة أو متعوجة .

وحينئذ تكون خدمة التعليم كصوت الجرس الذى يسمع بعيدا

ولكنه فى ذاته أصم جامد . وتكون نفسك فارغة « لست شيئا » ولا فائدة من خدماتك « لا أنتفع شيئا » .

كم مرة قلت عن هذا الشخص أنك لا يمكنك أن تتعاون معه أو قلت أنك تخدم جيداً لو كنت منفرداً . وأن العمل الذى تعمله منفرداً ينجح ! كم مرة قلت أنك تحب الأخوة ولكنك لا تحتمل أضاعة الوقت معهم وتدخل قلايتك وتصلى عنهم ولا تتكلم معهم !

قلت أنك غير مفهوم وأنهم يظلمونك .

قلت أن أشياء كثيرة فاسدة فيهم وأنهم لو استمعوا لك يستفيدون ويتقدمون !

عندك خدمة وعندك تضحية وعندك مواهب والرب يباركك . انت نافع ولكن ما حال قلبك فى الداخل ؟!

صفات المحبة : لا شك أن عندك محبة للأخوة وليس هذا القول مجرد مجاملة لك . لا شك أن عندك محبة بدليل تضحياتك وتمنياتك وحزنك عليهم وعلى نفسك أحيانا أنك لا تقدر أن تتعاون كما يجب .

أما المحبة فلا يكفى أن تكون عاطفة ، بل المحبة سلوك قلبى وعملى .

« تتأنى » آه من نفسى لأنى لا أتأنى . أتضايق ، وأتضجر ، وأغضب ، ولا أظهر ، ثم أقدم فكرة وأنسحب . ولا أحتمل العمل

مع الأخ فلان أو مع المجموعة الفلانية أو أنى أتحفز دائما حين أتكلم مع الأخ فلان . كلما تكلمت معه كان قلبى متضايقاً لأنه يثيرنى بآرائه وتصرفاته وهو دائما كذلك محبتى لا تتأنى .

« وترفق » هذا أمر يضايقنى . هل علىّ أن أترفق على الناس دائما !! يارب هذا أمر صعب . أترفق على الجميع !! الرفق القلبى والعملى !! ولماذا ؟ لأنى أحب ولأنى إن لم أترفق فأنا لا أهتم بالغير وبراحة الغير وهذه ليست محبة . والناس يحتاجون إلى الرفق . جميع الناس وغير الناس الكائنات الحية تحتاج إلى الرفق . أترفق بالأخ . وترفقى به يجعل قلبه ينفتح ويحب الله ويحب الطريق . أترفق بالبعيد والقريب . اكون ناظراً إلى نعمة الله فى الناس . وحين أتصرف برفق أكون أنا سعيداً . الحمام هو الذى يجذب حماما مثله ولكن النسور لا تجذب حماما .

« ولا تحسد » . أحسد هذا لأنهم يكلمونه أكثر منى . وأحسد ذاك لأن عنده مواهب أو شكل أو ظرف أو طريقة أو عمل أو مركز أو مستريح أو موفق أو قوى أو عنيف ولذلك يخشى الكل جانبه .

وأنا بمحبتى ووداعتى لا أنال الهيبة الكافية ! أنى أحسد ! وهذا لأنى لا أحب . فلأنظر لبركات الله للغير وأشكره وأفرح وأهنىء الغير وأعبر لهم عن تقديرى وأهنئهم على نجاحهم !!

« لا تتفاخر ولا تنتفخ » وهذا قد لا يظهر ولكنه فى قلبى . أحس أنى أفضل منهم وتأكلنى الكبرياء ومعها الحسد والغيظ والحقد . وقد أظهر الافتخار بما عندى من مميزات أو عند أقاربى أو ما سأعمل أو نجاحى أو تقديرى لنفسى .

« لا تقبح » وقد لا أقصد أن أقبح . بل أن أوبخ وأن أكون صريحاً وشديداً . وبهذا أؤدى عملى !! هذه الألفاظ دليل عدم المحبة . فلينزعها الرب وليضع فى فمى ترنيمة الشكر « صوت التهليل والحمد فى مساكن الأبرار » .

« المحبة لا تطلب ما لنفسها » اعطنى يارب ألا أفعل ذلك ولا أحسب نفسى شيئا حقا .

« لا تحتد » نعم هذه المشكلة . الأخوة يخدمون ولكن الاحتداد كثير . والصوت يرتفع والقلب غاضب . ما هذا ؟ عدم محبة . لا تقولوا أننا نحب بعضنا بعضا ! المحبة لا تحتد . الزموا الوداعة . الزموا طول الروح . الزموا عدم الاحتداد .

كفوا عن الاحتداد . هذا ليس دليل قوة شخصيتكم . هذا ضعف ونقص فى المحبة .

أين التأنى والرفق ؟ اطلب واسع لهذا « لا تظن السوء » هذا الأخ لا يفهمنى وذاك لا يعجبنى . المحبة تظن الصلاح .

وليس فى ذلك خطأ فى فهم الأمور فكثير من الأمور فهمت

خطأ بسبب ظن السوء . وكثير من الناس غيرنا نظرة السوء نحوهم إلى نظرة خير فنجحوا .

« لا تفرح بالأثم بل تفرح بالحق » لا تقل أن ذاك فشل لأنه مخطىء فى كذا ... بل أن ذاك مبارك وهو مع الأسف لم يوفق هذه المرة .

« تحتمل . تصدق ، ترجو ، تصبر » .
وهذا فى كل شىء . وبذا لا تسقط أبداً .

أربعة عشر وصف للمحبة ونهايتها لا تسقط أبداً .

وواجبنا الآن الجلوس مع أنفسنا مدة يومين ونطبق هذه الآيات الثمانية على أنفسنا . وأن نكتب ضعفاتنا ونكتب ما يلزمنا ونسعى إلى انتشار المحبة بين الجماعة وأفرادها باجتهاد وترفق وظن الخير .

المحبة ترجو ، وتنجح ولا تسقط أبداً . وأعمال المحبة بين الجماعة هى رباط عملى ينمو وينمى الأفراد والجماعة .

والمحبة فى القلب المسيحى صفة ضرورية طبيعية ولكنها تظهر فى السلوك القلبى والعملى . فلنعمل ذلك .

جاء فى كتاب الناذرات[1] جدول فضائل للراهبة الفاضلة الصالحة بهذا النص :

(١) لمؤلف الشذرات الذهبية « وكتاب المبتدئات » نقله إلى العربية احد المرسلين البولسيين بيروت ١٩٥٨ .

جدول فضائل الراهبة الفاضلة الصالحة

الراهبة الفاضلة الصالحة هى :

- **منصرفة إلى الصلاة والمحبة والعمل والاتحاد بالله** . فالصلاة تجعلها غذاءً وطعاماً لها ، وفى كل صعوباتها تلجأ إلى الصلاة قبل كل شىء .. والمحبة تستطيع دوماً ان تمارسها بكلمة طيبة ، بابتسامة ، وباستقبال لطيف عطوف . أما العمل أو الشغل فبوسعها دوماً ان تتفانى فيه : أليسَ لها فى كل سانحة من تساعده فى شغله ؟ فلا تلبثنَّ اذن ابداً فى البطالة ، ولا ينصرف عقلها ابداً الى اتباع الخيالات والاحلام . وأما الاتحاد بالله فهو ثمرة الصلاة والمحبة والعمل .

- **بعيدة عن الأفكار التى تشتت وعن الاشواق التى تُقلق** ، وعن المآرب والمطامع التى تعذّب ، وعن الكرامات التى تثقّل الضمير . فالافكار المشتتة هى التى تصرف الراهبة وتحوّلها عن الشغل وعن الصلاة . والاشواق المقلقة هى التى لا تجسر على ان لا تبوح بها لرئيستها . والمآرب المعذّبة هى التى تترك النفس سابحة فى الاحلام . والكرامات المثقّلة للضمير هى المراتب التى تنالها الراهبة بعد ان رغبت فيها وسعت اليها بمجد باطل .

- **مميتة لحواسّها ومزاجها وطبعها ، وذلك فى كل ساعة** : فلا تسمح لحواسها بأى تمتع كان لا تجسر على إعلانه جهراً ، ولا تُبيح لمزاجها وطبعها بشىء . من شأنه ان يحزن الآخرين .

ـ **منتبهة ومحترسة لئلاً تجرح احداً** أو تمسّ شعوره ، ولئلاً تسيء الظن فى أحد أو تسيء الكلام بحق أحد .

ـ **محتشمة فى هيئتها وحديثها ومشيتها** ، من غير ان يظهر عليها شيء من الصلابة أو التكلف أو الغرابة .

ـ **صبورة** فى الأمراض والأحزان والمعاكسات والصلبان الصغيرة اليومية . فإن هذا الصبر يوليها عادة التسلّط على ذاتها والدوام على الابتسام والتنزه عن التذّمر .

ـ **شفيقة** تتأثر لحاجات اخواتها وأمراضهنَّ واتعابهنّ ونقائصهنَّ وعيوبهنّ المختلفة .

ـ **متجرّدة** لا تطلب الا مجد الله وخير الرهبانية وخلاص الجميع وراحة اخواتها ، وان كان التعب لها . فإنها لا تكون ابداً سعيدة كما يوم تحرُم ذاتها شيئاً لتسرَّ رئيستها أو اخواتها . ويا ما أعذب الحرمان على قلبها إذا كانت الفائدة لغيرها .

ـ **متفانية** ومخلصة لرئيساتها ورؤسائها إذ ترى فيهم الله ، ولهم تخضع فى كل شيء ، وتحترمهم بالرغم من كل شيء ؛ وتدافع عنهم فى كل شيء ؛ ولرفيقاتها اللواتى تسلك معنّ كما لو كانت خادمتهن ؛ ولوظيفتها التى تمارسها دوماً بفرح ودقة ، بالرغم مما تشعر به من نفور طبيعى ؛ وخصوصاً لله الذى تذهب اليه

ببساطة فى الإعتراف والتناول ، لا تحدوها الا رغبة واحدة : ان تتطهر لتصير أكثر اتحاداً بالله .

— **متجرّدة عن اسرتها وأهلها** ، فتحبهم دوماً وكثيراً ، لكنها لا تهتم بهم ليقينها ان الله يقوم مقامها بقربهم . ومتجرّدة خصوصاً عن ذاتها وعن راحتها وهواها .

— **غيورة لتمنع الشرّ** ، وتصلحه وتحمل على نسيانه ؛ ولتصنع الخير إلى الجميع بمثلها وكلامها وصلاتها ولطفها ، غير ساعية ان تجذب النفوس اليها الا لتقودها إلى يسوع المسيح .

— **مختفية** تحبّ الشغل بلا ضجة ولا قرقعة تحت نظر الله وحده ، فتجد سعادتها فى قلايتها أو فى كنيسة الدير .

— **وديعة** من غير تكلّف ، بالعاطفة اكثر مما بالكلام ، حاسبة ذاتها سعيدة لأنها قُبلت فى الرهبانية ، وقابلةً بشكر كل التفاتٍ اليها ، غير متذمرة ولا شاكية ابداً من نسيان أو إهمال أو إساءة .

— **اخيراً ساكنة وفرِحة** ، مسرورة بأن تكون حيث يريدها الله ، وان تفعل ما يريده الله . فهى لا تريد صحة اكمل ، ولا حرارة اعظم ، ولا لباقة ومهارة أتمّ ، ولا رئيسة أخرى ، ولا مرشداً آخر ، ولا رفيقات أُخريات ، ولا مركزاً آخر ، ولا وظيفة

أخرى . بل تقبل كل شيء كأنه آتٍ من عند الله ، وتقتنع ان الله لن يهملها ابداً . وبما انها بجملتها لله فهى تتوقع برجاء وطيد ان يصير لها الله كاملاً مدى الأبدية كلها .

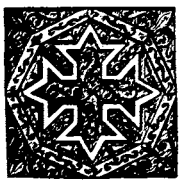

الدرس السادس عشر ــ طرق دراسة الكتاب المقدس

توجد طرق كثيرة لدراسة الكتاب المقدس ، فالكتاب محيط شاسع مهما غصنا فيه لن نوفيه حقه ولن نستوعب الا القليل . ولا شك أن هناك طرقا عالية ومتخصصة فى دراسة الكتاب ولكننا هنا نقصد الطرق البسيطة التى تناسبنا كخدام مبتدئين وهى :

١ ــ الطريقة العملية :

وهذه أهم الطرق وتناسب الإنسان المتعلم والبسيط . نقرأ الأصحاح ببساطة ، ونفهم الوصايا الالهية التى وردت فيه ، ونطلب من الرب نعمة لكى ننفذها فعلا . مثلا : حين أقرأ الآية « ان أخطأ اليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما » (مت ١٨:١٥) ، أسرع إلى صديقى الذى كان قد أخطأ إلى وأعاتبه فى محبة وأكسبه من جديد . وحين أقرأ الآية : « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة » (مت ٢٦:٤١) ، أنظم حياتى فعلا وأبدأ بأن أواظب على الصلاة بأمانة حتى لا أقع فى تجربة . وحين اسمع قول الرب « من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (مت ٥:٢٨) ، اطلب منه بدموع أن يطهر نظراتى لتصير مقدسة ... وهكذا .

وهذه كانت طريقة آبائنا القديسين حين كان الإنجيل غير مطبوع والنسخ الموجودة منه قليلة جدا ، ولكنهم بسبب طاعة الوصية صاروا قديسين بل صاروا أناجيل متحركة بين الناس وكسبوا نفوسا كثيرة للمسيح . لقد سمع القديس أنطونيوس آية من شماس فى الكنيسة فمضى ، وباع كل ما كان له ، وتبع المسيح ، فصار سبب بركة لكل العالم ولكل الأجيال .

٢ ــ الطريقة التأملية :

وهذه طريقة مهمة ومشبعة ، فيها يقرأ الإنسان بعض الآيات ، ويكررها فى هدوء وعمق ، ثم يبدأ يناجى بها الله معبرا عن شكره إذا كانت الآيات تتحدث عن عمل الله معنا ، أو عن انسحاقه إذا كانت تبكته على خطاياه ، أو عن فرحه بالرب أن كانت تشرح له حب الله للنفس البشرية كما فى سفر النشيد وهكذا . مثلا حين يقرأ الآية : « محبوب هو اسمك يارب فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩:٩٧) . يبدأ يناجى الرب قائلاً :

مستحق يارب أن أحبك ، لأنك فديتنى وجهزت لى خلاصا ثمينا وأبدية سعيدة ، لكنى مسكين لأن محبتى للعالم وللجسد وللبشر كثيرا ما تحرمنى منك ... متى تكون محبوبا حتى الأعماق ؟! متى يصير اسمك طول النهار تلاوتى ؟!

متى أردد صلاة يسوع باستمرار : « يارب يسوع المسيح ارحمنى ، يارب يسوع المسيح أعنى ، أنا أسبحك يارب يسوع المسيح » ... .

وهكذا تشبع النفس بكلمات الكتاب ، وتتحول الكلمات إلى صلوات ، والصلوات إلى شبع وقوة .

٣ ــ الطريقة الدراسية :

وهذه طريقة مهمة أيضا لأننا حين نقرأ كلام الله بدون فهم تقل استفادتنا منه ، أما إذا فهمناه ودرسناه بتعمق يسهل أن نشبع به ونمتلىء منه . والمقصود بهذه الطريقة أن ندرس الجزء المقصود بعمق وتحليل . مثلا فى رسالة رومية قد أقرأ ولا أفهم المقصود ، ذلك لأنه يلزم أن أدرس مقدمة لهذه الرسالة تتحدث عن سبب وموضوع وأقسام الرسالة وأفكارها الرئيسية وهكذا أبدأ أن أفهم . ثم أتعمق فى الدراسة فأقرأ كتابا تفسيريا للرسالة ، ثم أقرأ كتبا مختلفة عنها ، وهكذا . انها دراسة تفصيلية للسفر ، أو لموضوع فيه ، أو لشخصية من شخصياته ... وهكذا اتعمق فى دراسة كلمة الله المشبعة .

لقد كتب الآباء والمفسرون ملايين الصفحات فى تفسير الكتاب المقدس ، ومازال الباب مفتوحا للمجتهدين !

هذه الطرق الثلاثة تتكامل وتشد بعضها بعضا ، لذلك يحسن أن تطبقها فى حياتك بالصورة التالية :

١ ــ اقرأ فى الصباح أصحاحا من العهد الجديد ، وتأمل فيه مناجيا الرب يسوع (الطريقة التأملية) . ثم خذ وصية معينة وحاول تطبيقها طول اليوم (الطريقة العملية) .

٢ ــ اقرأ فى المساء بضعة أصحاحات أو تفسيرات لتتكون لديك فكرة متعمقة شيئا فشيئا عن الكتاب المقدس (الطريقة الدراسية) .

الدرس السابع عشر ــ صلاة المزامير

أولاً ــ التسبيح بالمزامير بداية حياتنا فى السماء :

خدمة السواعى هى مدرسة المؤمن التى بواسطتها يصل إلى الهدف الذى يسعى اليه ، لأن الكنيسة تمثل جماعة تسبيح كاملة لا يفوقها سوى السماء ذاتها . ان التسبيح يجعلنا نحيا حياة السماء ويعدنا لها لأن التسبيح بالمزامير هنا يحوى فى جوهره التسبيح هناك .

عندما زار يوحنا كسيان رهبان مصر كون فكرة بأن عمل الراهب هو الصلاة ، وذلك بحفظ المزامير وتلاوتها مع التأمل فيها . وله تعبير يثير الأعجاب فى وصفه لمعرفة الرهبان العقلية للمزامير وشدة تفاعلهم مع كلماتها فيقول : « **انهم عندما يتلون المزامير يظهرون كما لو كانوا يرتجلون (أى كأنها من تأليفهم وصياغتهم)** .

ثانياً ــ الأسباب التى دعت الكنيسة إلى استخدام المزامير فى الصلاة :

لقد اختارت الكنيسة سفر المزامير لتستعمله فى كافة صلواتها ، وعلى امتداد اليوم كله لأسباب كثيرة منها :

١ ــ لقد جمع داود فى شخصه اختبارات عجيبة ، فهو راعى الغنم

الفقير ، وهو الملك العظيم وهو النبى الملهم وهو القديس الذى حلق فى سماء الروحيات ، وهو الإنسان الذى سمح الرب بسقوطه فى خطيئتين شنيعتين أذلتاه ، ولأجلهما ظل يبكى ويبل فراشه بدموعه .

فنحن فى المزامير نجد اختبارات كثيرة لابد أنها توافق نفسياتنا واحتياجاتنا .

٢ ــ المزامير خرجت من قلب إنسان تطهر فعلا بالتوبة . وجاهد من أجل حياة الروح جهاداً عظيماً يجدر بنا أن نتطلع اليه ونتعلم منه .

٣ ــ المزامير ولو أن قائلها داود واليه تنتسب . لكنها هى أيضا كلام الله قاله داود بالروح القدس حتى ان السيد المسيح قال : « قال داود بالروح » (مت ٢٢ : ٤٣) ، وحينما نصلى بالمزامير فنحن نكلم الله بكلامه ، فهل يوجد أعظم من هذا ؟!

٤ ــ المزامير تحتوى على عنصر التسبيح والتمجيد لله والتسبيح هو لغة الملائكة والروحانيين فعلى المؤمن أن يسكب حياته فى المزامير حتى إذا رتلها يكون معبرا عن مشاعره الشخصية فى الكلمات التى تنطق بها شفتاه .

٥ ــ المزامير تقود المؤمن الذى يتعمق فيها حتى يتقابل مع القلب

المطعون الذى للمخلص . تقوده إلى القلب الذى هو شمس ونور كل القلوب حيث يهمس له الروح بلا توقف .

اذهب إلى الله ...

وهو يجيب من الأعماق : ها أنا ذاهب .

٦ ــ والمزامير فوق هذا كله مادة عجيبة للتأمل ، فهى تتيح للذين يصلونها بالروح وبتأن تأملات رائعة حقا لا يمكن الا ان يكون مصدرها روح الله .

يقول مار اسحق : « ليكن لك محبة بلا شبع لتلاوة المزامير لأنها غذاء الروح » . ويقول القديس نيلس السينائى « داوم على تلاوة المزامير لأن ذكرها يطرد الشياطين » .

ويقول العظيم فى البطاركة اثناسيوس الرسولى « التسبيح بالمزامير دواء لشفاء النفس » .

ثالثاً ــ فائدة الصلاة حسب نظام ، معين ، موضوع .

إذا لم يكن لنا نظام معين أو قانون منتظم فى صلواتنا وتركنا لأنفسنا الحرية لنصلى متى أحسسنا بالرغبة فى الصلاة فإن هذا يمثل خطراً كبيراً على حياتنا الروحية وينتهى غالبا إلى الاهمال فى الصلاة . حيث أن الصلاة من أصعب الممارسات الروحية على الجسد الذى يميل دائما إلى الراحة أو الانشغال بالأمور المادية التى تناسب طبيعته .

لذلك أجمع الآباء القديسون على وجوب الالتزام بقانون منظم للعبادة لأنهم رأوا أن هذا الأمر يناسب الجميع ولا سيما المبتدئين فى حياتهم الروحية حتى يتعودوا على النظام فى صلواتهم مما يساعدهم فى حياتهم الروحية عموما ، ويقول القديس جيروم « يجب أن نعين أوقاتا للصلاة حتى إذا حدث وانشغلنا بأى عمل فإن الوقت نفسه يذكرنا بواجبنا» . ولما سئل القديس اغاثون « أى فضيلة أعظم فى الجهاد » أجاب « **ليس جهاد أعظم من أن نصلى دائما لله ، لأن الإنسان إذا أراد أن يصلى كل حين حاول الشياطين أن يمنعوه ، لأنهم يعلمون بأن لا شيء يبطل قوتهم سوى الصلاة أمام الله .** كل جهاد يبذله الإنسان فى الحياة ويتعب فيه لابد أن يحصد منه الراحة أخيراً الا الصلاة ، فإن من يصلى يحتاج دائما إلى جهاد حتى آخر نسمة .

رابعاً ــ الرب يسوع المسيح هو مثلنا الأعلى فى الصلاة وترتيباتها :

الرب يسوع المسيح هو معلم الصلاة العظيم الذى كان فى أيام تجسده يكثر من الصلاة والتحدث مع الآب والشركة القوية معه ، الذى يقضى الليل كله فى الصلاة (لو ٦:١٢) وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون (لو ٢٢:٣٩) وكان يخرج طبعا إلى الجبل للصلاة والمناجاة .

ومع ذلك فقد ذكرت عنه الأناجيل أنه صلى فى أوقات معلومة وبطريقة مرتبة :

+ فقد كان يصلى فى الصباح الباكر كما هو مكتوب « وفى الصباح باكراً جدا قام وخرج إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك (مر ١:٣٥) .

+ صلى الرب يسوع فى وقت الساعة السادسة وهو معلق على عود الصليب طالبا الغفران لصالبيه قائلا : « ياأبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو ٢٣:٣٤) .

+ كما صلى فى وقت الساعة التاسعة مسلما روحه الطاهرة فى يدى الآب قائلا « ياأبتاه فى يديك استودع روحى » (لو ٢٣:٤٦) .

+ وكان يصلى فى المساء بعد أن يقضى اليوم كله فى التعليم وشفاء المرضى وعمل الخير ، فقد كتب عنه « وبعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلى . ولما صار المساء كان هناك وحده (مت ١٤:٢٣) .

+ صلاة نصف الليل حددها فى بستان جثسيمانى بثلاث خدمات متتالية كما ذكر عنه الانجيلى متى قائلا « حينئذ جاء معهم إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى ... ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى .. ثم مضى ثانية وصلى ... فتركهم ومضى أيضا

وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه ، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا » (مت ٢٦:٣٦ــ٤٥) ، وهكذا أمرهم بالنوم بعد أن صلى الثلاث خدمات التى لصلاة نصف الليل .

وعن أهمية صلاة نصف الليل ذكر مثل العذارى الحكيمات الذى قال فيه « وفى منتصف الليل صار صراخ هوذا العريس قد أقبل فقمن وأخرجن للقائه ، فقامت جميع أولئك العذارى واصلحن مصابيحهن .. والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب » (مت ٢٥:٦ــ١٠) وفى نهاية المثل قال الرب ناصحا لنا « فاسهروا اذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » (مت ٢٥:١٣) .

وأشار أيضا إلى صلاة نصف الليل بخدماتها الثلاث فى حديثه عن العبيد الأمناء بقوله « طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين ، الحق أقول لكم انه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم ، وإذا أتى فى الهزيع الثانى أو الثالث ووجدهم يفعلون هكذا فطوبى لأولئك العبيد (لو ١٢:٢٧) ، وهذا الفصل من الإنجيل يقرأ دائما فى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل .

وفى مكان آخر ينصحنا الرب بالسهر والصلاة قائلا « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة » (مت ٢٦:٤١)

« لأن الصلاة تجعل الرب يسندنا وينجينا من التجارب التى هى فوق طاقتنا .

+ كما كان الرب يسوع متعودا على الذهاب إلى المجامع فى السبوت للصلاة وسماع التعليم كما كتب عنه لوقا الإنجيلى « ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ » (لو ٤:١٦) .

+ وفى مثل الفعلة ذكر الرب يسوع أن صاحب الكرم استأجر فعلة للعمل فى كرمه فى الصباح (باكر) وفى الساعة الثالثة وفى الساعة السادسة وفى الساعة التاسعة وفى الساعة الحادية عشرة (الغروب) وأعطى الجميع أجرتهم (مت ٢٠:١ــ١٦) وهكذا ذكر الرب معظم ساعات الصلاة الطقسية الرسمية اليومية كتنبيه لممارستها والقيام بهذا العمل المقدس . والله الذى لا ينسى تعب المحبة وجهاد الفضيلة يعطى الأجر مضاعفا لكل المجاهدين الأمناء .

وهكذا وضع لنا الرب يسوع أساسا متينا للصلاة والعبادة فى أوقات محددة وساعات معينة حتى يكون كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب (١كو ١٤:٤٠) لأن الهنا إله سلام (ونظام) وليس إله تشويش (١كو ١٤:٣٣) وقد ترك لنا مثالا لكى نتبع خطواته (١بط ٢:٢١) .

الدرس الثامن عشر ــ صلاة التسبحة

التسبيح هو عمل الملائكة الماثلين دائما أمام عرش النعمة يسبحون الله بغير فتور ولا تعب ، لأن كل لذتهم وشبعهم وراحتهم فى تسبيح خالقهم .

والتسبحة هى التراث الآبائى الثمين المحفوظ فى كنيستنا المقدسة وهى تتكفل باشباع كل نواحى الصلاة ومناجاة الله ، ففيها الشكر والتمجيد والطلب .

بدأ التسبيح داخل الكنيسة منذ أول يوم اجتمع فيه المؤمنون معا . وسفر الأعمال يصف لنا صورة للحياة اليومية فى الكنيسة فى (أع ٢:٤٦،٤٧) .

« وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله » .

والتسبحة فى الكنيسة هى الاشتراك الفعلى مع القوات السمائية فى تسبيح الله الخالق ، ويقول القديس غريغوريوس الناطق بالالهيات فى القداس التأملى العجيب : « الذى أعطى الذين على الأرض

تسبيح السيرافيم ، اقبل منا نحن أيضا أصواتنا مع غير المرئيين . احسبنا مع القوات السمائية . ولنقل نحن أيضا مع أولئك إذ قد طرحنا عنا كل أفكار الخواطر الشريرة ، ونصرخ بما يرسله أولئك بأصوات لا تسكت وأفواه لا تفتر ونبارك عظمتك » والراهب وكل مؤمن يتعلم التسبحة ويتلوها بالحانها الخاشعة الرائعة وطرائقها الهادئة الجميلة يجد فيها عزاء السهر ويصبح عموداً فى الكنيسة ويحسب خادماً موهوباً حاملاً لسر من أعز أسرارها وهو سر التسبيح لله والشركة الروحية مع الملائكة والقديسين .

قوامها ٤ هوسات ، ومجمع ، وتذاكية

وكلمة هوس = تسبحة

وكلمة تذاكية = ثيؤطوكية = حاملة الإله أى السيدة العذراء وهنا تعنى مديحة للسيدة العذراء .

التسبحة مدخل للقداس لكنها بالنسبة للراهب مكمل مع الأجبية للكتاب المقدس والحياة العملية .

الهوس الأول الذى هو تسبحة النصرة مرتب شعراً على تسبحة الشعب القديم بعد عبور البحر الأحمر (خروج ١٥) ، والثانى مز ١٣٦ وفيه الكون كله يسبح الله وهذا المزمور مفعم بالشكر للرب إذ تتردد فيه كثيرا عبارة « اشكروا الرب لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته » .

والثالث تسبحة الثلاث فتية القديسين فى أتون النار عند خلاصهم (بين عددى ٥٢ و٩٠ أصحاح ٣ تتمة دانيال وموجودة فى النسخة السبعينية حسب الطبعة الكاثوليكية) وهذا الهوس غنى بتأملاته الرائعة ، فهو تسبحة الخليقة كلها بقيادة الكنيسة ، كما أنه غنى بألحانه إذ يوجد فيه ما يربو على الخمسة الحان حتى نهاية التسبحة .

والرابع المزامير ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ من سفر المزامير والمجمع ذكر للقديسين الذين نقتدى بهم فى ايمانهم وفى جهادهم وفى صبرهم واحتمالهم ، نتعلم منهم الإيمان حتى الدم لأن دماء الشهداء هى بذار الكنيسة .

وان كانت دماء الشهداء هى بذار الكنيسة فإن جهاد وأتعاب ونسكيات وعرق ودموع القديسين هى المياه التى سقت شجرة الكنيسة وجعلتها تثمر وتترعرع حتى وصلت الينا مشرقة كالصباح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية (نشيد الأنشاد ٦ : ١٠) سالمة تتحدى كل أعاصير الزمن ، محفوظة بعناية القدير وأبواب الجحيم لا تقوى عليها وكل آلة تصوب ضدها تباد .

والتذاكية بعد الهوس الرابع وهى مديح للعذراء وتمجيد لتجسد الرب .

نسأل الهنا الصالح المستوجب كل تسبيح وتمجيد أن يساعدنا لكى نسبحه ونمجده من القلب ويوقظ فينا وعى الخلود الكامن فى أعماقنا ويزيد تعلقنا بالحياة الأبدية له المجد الدائم إلى الأبد آمين .

انتهى الآن الباب الثالث من هذا الكتاب كان الباب الأول عن « معالم الطريق » وكان الباب الثانى عن « الروح الواحد » **وجاء الباب الثالث عن « صور من الحياة »** .

ويحوى : ١٣ التدبير الرهبانى
١٤ الجماعة المستقرة
١٥ الخدمة والمواهب والمحبة
١٦ طرق دراسة الكتاب المقدس
١٧ صلاة المزامير
١٨ صلاة التسبحة

راجع ما كتبته من مذكرات عند نهاية الباب الأول والثانى ثم راجع الباب الثالث ومارس هذا التدبير فهذا هو غذاء الراهب الذى يلتزم به .

الباب الرابع ــ معلمون مختلفون

الدرس التاسع عشر ــ السيدة العذراء

كانت أم يسوع خير رفيق لابنها المبارك فى جهاده وفى تعاليمه ، وفى رحلاته . لم تمكث فى البيت بقدر ما مكثت عند قدميه مع الجماهير تتلمس النور من فمه المقدس . وإذا حاولنا أن نسجل بركات السيدة العذراء نجدها كثيرة جدا جدا . ويسرنا فى هذا الدرس أن نسرد بعض أخبار عنها :

١ ــ اكرام الله لشخصها .
٢ ــ استجابة صلواتها وشفاعتها .
٣ ــ اختبارات الشركة مع القديسين .
٤ ــ الصبر والاحتمال فى حياة السيدة العذراء .

أولاً ــ اكرام الله لشخصها :

« هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم » . (لو ١:٤٨ــ٤٩) هذا نطق الروح القدس على فمها أنه صنع بها عظائم وأنه انزل الأعزاء عن الكراسى . رفعها من أجل تواضعها . هذا اكرام من السماء لها على مدى الدهور ، ونطق الهى بتطويبها .

ولا يمكن أن الله الذى أوصانا بأن نكرم الوالدين لا يكرمها وهى أمه بالجسد ولذلك فى عرس قانا الجليل وإذ لم يكن قد بدأ أى معجزة ولم يكن قد أظهر ذاته بعد ولكن لما رآها تريد منه المعجزة قال لها : لم تأت ساعتى بعد ، ولكنها وقد أوحت إلى الخدام أنه سوف يعمل معجزة لبى نداء حبها وثقتها فيه .

« وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » . (يو ٢:١١) .

وعند الصليب اهتم براحتها فسلمها إلى يوحنا بالرغم من أنه كان مزمعا أن يقوم بعد ثلاثة أيام ولكنها لابد أن تستريح منذ تلك الليلة التى أتم فيها الفداء للبشرية ، والتى يسلم فيها مسئولياته الجسدية إلى غيره فلزم أن يعولها منذ هذه الليلة شخص آخر .

وبعد أن قضت أيامها بسلام تقول القصة أن رب المجد حضر وحوله الملائكة والقديسون واستلم روحها . ولكن الملائكة لم يبرحوا ذاك القبر ، ولم يكفوا عن الترانيم إلا بعد ثلاثة أيام ... حين حمل جسدها إلى السماء وذلك فى يوم ٢١ طوبه وفى اليوم الموافق ١٦ مسرى ظهر رب المجد ثانية وظهر معه الجسد الطاهر ليتأكد التلاميذ من صعود جسدها إلى السماء كما رآها القديس توما الرسول . وهذا اكرام جزيل جدا لأنها الأولى بين القديسين النادرين الذين لم يذكر لهم الكتاب المقدس أى خطية وليس معنى هذا أنها كانت بدون خطية إلا أن الكتاب المقدس أكرمها فلم يسجل ضعفها .

ولا شك ان هناك اكرامات كثيرة من رب المجد لها لم يسجلها التاريخ ولم يذكرها الإنجيل .

ملاحظة :

لعل الكتاب لم يذكر شيئا عليها إلا الكلمة الواحدة التى قالها رب المجد يسوع فى الهيكل وهو فى سن ١٢ سنة وقد نظن أن فيها نغمة عتاب « ألستما تعلمان أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى » (لو ٢:٤٩) .

ثانياً ــ استجابة صلواتها وشفاعتها :

نحن نستعمل كلمة شفاعة بمعنى صلاة وتوسل من شخص له دالة وقرب ولذلك خصصت الكنيسة لفظ شفاعة على السيدة العذراء والملائكة فنقول : بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يارب أنعم علينا بمغفرة خطايانا . كما نقول : بشفاعات السبعة رؤساء الملائكة والطغمات السمائية يارب ... أما فى سائر طلب صلوات القديسين فنقول : « بطلبات » .

وليس من خلط بين شفاعة السيدة العذراء والقديسين التى هى شفاعة توسلية ، وشفاعة السيد المسيح الكفارية . التى قيل فيها « لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا » (١يو ٢:١،٢) . وعملية الكفارة بدمه لا يشترك معه فيها أى كائن آخر

بل حتى الروح القدس حين يقال عنه « يشفع فينا بأنات لا ينطق بها » (رو ٨:٢٦) يقصد بها التأييد وليس العمل الكفارى .

أما عن صلوات السيدة العذراء وشفاعاتها فهى لا تحصى سواء فى حياتها فى الجسد مثل الصلاة من أجل متياس الرسول وفك قيوده الحديدية ، أو صلواتها وهى فى السماء التى يشهد لها العالم كله . فكم من مرضى لجأوا اليها وبصلواتها نالوا الشفاء . وكم من متضايقين حلت أزماتهم بصلواتها ــ إذ أنها أول القديسين فى السماء هؤلاء الذين يقدمون صلوات عنا على الدوام مثلما جاء فى سفر الرؤيا « خر الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون قسيسا أمام الحمل ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورا هى صلوات القديسين » (رؤ ٥:٨) وأيضا « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ ٨:٣،٤) كم من أشخاص مختلفين مؤمنين وغير مؤمنين نالوا الشفاء بالتشفع بها وشهد الجميع بذلك .

ثالثاً ــ اختبارات الشركة مع القديسين :

ما أحلى الشركة القائمة بين الله وأولاده الذين فى السماء وعلى الأرض فإن الكنيسة واحدة مجاهدة ومنتصرة . وان كان القديسون

يجاهدون معنا وهم على الأرض بصلواتهم ، فلا يمكن أن ينسونا وهم فى السماء ذلك للأسباب الآتية :

١ — انهم وقد وصلوا إلى السماء ازدادوا فى النعمة ، ونالوا قوة كبيرة كما يظهر من موقف ايليا مع اليشع إذ قال له حين طلب نصيب اثنين من روحه . « فإن رأيتنى أؤخذ منك يكون لك كذلك » (٢مل ٢:١٠) أى فى اللحظة التى يبدأ فيها ايليا فى الصعود والانتقال إلى السماء ، يبدأ اليشع يأخذ فيها قوة كبيرة سماوية إذن فالقديسون يأخذون قوة فى السماء مثل قول الرسول بولس : « **الآن أعرف بعض المعرفة ولكن حينئذ سأعرف كما عرفت** » (١كو ١٣:١٢) **أى مثلما عرفنى أهل السماء أى أن معرفته ستتضاعف كثيرا** .

٢ — أنهم يروننا فى جهادنا مثلما يرى المتفرجون الأشخاص الذين يلعبون فى الميدان كقول الرسول . « لذلك نحن أيضا إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا » (عب ١٢:١) أى أنهم يشاهدوننا ويهتمون بظروفنا وهذا ما ظهر فى سفر الرؤيا فى ذكره لصلواتهم عنا كما سبق . بل ما ظهر فى مشاعر الغنى الذى ذكره رب المجد فى مثل الغنى ولعازر الذى لم تنسه النار التكلم من أجل أخوته (لو ١٦) وان كان هذا الرجل لم ينس أخوته فكم يكون شعور القديسين من نحونا !

٣ ــ أنهم يصلون عنا مثل قول الكتاب على فم أرميا النبى « ثم قال الرب لى وان وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب » (ار ١٥:١) ولقد قال الرب هذه الكلمة بعد وفاة موسى وصموئيل بمئات السنين ــ أى أنه لن يقبل صلواتهم من أجل الشعب وهم فى السماء . وهكذا نجد السمائيين يصلون عنا ويؤيدون صلواتنا أمام الله إذا كانت حسب مشيئته .

٤ ــ والشركة القائمة بيننا وبينهم شركة ثابتة ، والله كثيرا ما خاطب أولاده قديما بقوله « أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب » أى أنه يخاطب الأحياء على أنه إله آبائهم السابقين الذين رقدوا والأمثلة السابقة كثيرة عن الشفاعة والصلاة وغيرها . ولذا جاء فى مجمع القديسين فى القداس الإلهى الباسيلى : « لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى تذكار قديسيك . تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء » ثم نتقدم إلى ذكر اسماء كثيرة ثم يقول الشعب « بركاتهم المقدسة فلتكن معنا آمين . يارب باركنا . يارب نيحهم آمين . » أى أننا نطلب صلواتهم ونطلب لهم النياح . وهذه هى الشركة الحقيقية . فكم تكون الشركة مع السيدة العذراء .

الذين لهم معها شركة يحسون بقربهم اليها وقربها اليهم . وهى تقف بجانبهم وتؤيدهم وتطلب عنهم ومعهم ــ وان الشركة مع الله والقديسين مصدر غذاء ونمو وقوة كبيرة وليست كما قد يظنها البعض بعداً عن التمسك بالله الأوحد أو تشتتا للإيمان طالما كان الشخص فاهما لنعمة الله العاملة فيه وفى القديسين والتى تأتى بأبناء الله الكثيرين إلى الواحد .

رابعاً ــ الصبر والاحتمال فى حياة السيدة العذراء :

السيدة العذراء تعطينا صورة حية فى الاحتمال فى محبة وفى فرح وهذا هو الاحتمال الحقيقى لأن الصبر السلبى لا يعد صبرا كاملاً ، بل الصبر الإيجابى المملوء بالسرور الذى فيه يحول الله الأتعاب إلى أفراح مثلما قيل عن السيد المسيح : « من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الآلام مستهينا بالخزى » (عب ١٢:٢) ومثل قول معلمنا بولس « من يضعف وأنا لا أضعف . من يعثر وأنا لا التهب » (٢كو ١١:٢٩) والأمثلة فى حياة السيدة العذراء كثيرة نذكر منها ما يلى :

١ ــ أنها لا شك جربت تجربة شديدة وهى أن تحمل أو تحبل بغير الطريقة العادية .

٢ ــ أن تعجز عن أن تقول سرها لأى مخلوق (لو ١:٢٦ــ٣٨) .

٣ ــ أن يشك فيها أقرب إنسان لها . « يوسف المدعو خطيبها » (مت ١٩:١) .

٤ ــ الجولان وتحمل التعب والسفر من مكان إلى مكان بلا شك دون أن تتذمر ، ودون أن تقول كلمة . صورة للاحتمال فى حب وفرح من أجل اسم الله . ولقد طافت فى بدء حياة المسيح فى أماكن كثيرة فأولاً جاءت من الناصرة إلى بيت لحم وهناك لم تجد مكانا لترتاح فيه وهى حبلى فى أواخر لحظات الحمل . رقدت فى المذود ، ووضعت الطفل ولم يكن أحد معها . وبعد أيام قليلة حملته وسافرت إلى مصر . فى رحلة الهروب التى كانت فى أكثر صور راحتها على ظهر حمار ... وهى رحلة استغرقت وقتا طويلا . ويقول التقليد أنها طافت فى مصر من منطقة صا الحجر (تانيس) بقرب الزقازيق حاليا إلى مصر القديمة ثم نزلوا فى الصعيد حتى وصلوا إلى أسيوط ، ثم عادوا شمالا إلى مصر إلى المطرية . تعب شديد وكل هذا فى سبيل الطفل الذى أرسلته السماء وكلفتها برعايته .

٥ ــ أن ترضع طفلا ترتعش يداها عندما تفكر فى كنهه . وأن تخشى عليه من أى خطر نظراً لقيمته الكبرى مثل خطر البرد ، أو خطر التعب أو خطر وجوده مع الأطفال . ذلك لأنها تعلم أنه خالقها وهو مخلص العالم كله . وأنها صارت

مؤتمنة على دُرة غالية إلى أقصى حد . أترى ولقد وجدته يتطلع إلى الأطفال يلعبون فى الشارع هل كانت هذه المسئلة تمر عليها ببساطة ؟ أنه الدرة الغالية التى يجب أن لا تتسخ بالتراب ... ولا تختلط مع من لا يناسبَ ... ان قلقها عليه لم يكن أمراً هينا أبداً على النفس . انها تعبت أشد التعب من أجله وكانت تسعى لخدمته ولم تقصر ابداً بل كانت ايجابية إلى أقصى حد .

٦ ــ لم تكن متذبذبة وأحلى أنواع الصبر والاحتمال ما كان بفرح وعدم انسحاب وثبات على الدوام .

نحن كثيرا ما نضعف واحيانا نقول نترك هذه الخدمة أو هذا العمل لكن هل يمكن لأم أن تتذبذب فى خدمة طفلها ؟ هل يمكن أن تعتبره ابنها يوما وغير ذلك فى يوم آخر ؟!

ان الحياة المسيحية وحياة الرهبنة الخادمة بنوع خاص تتطلب هذا الاحتمال ، والصبر إلى المنتهى مع عدم النظر إلى الوراء واليد على المحراث قال يسوع : « ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله » (لو ٩:٦٢) .

قصـة

« كانت هناك سيدة مسيحية تقية مريضة بغرغرينة فى رجلها فى مستشفى الأمريكان فى مدينة أسيوط وذلك فى منتصف العشرينات من هذا القرن .

قرر الأطباء بتر (قطع) رجلها فى اليوم التالى وكان ذلك فى موسم صوم السيدة العذراء . ذهب من المطرانية اثنان لزيارتها ، والصلاة معها هما القمص جرجس بطرس ، والأستاذ راغب عطية الذى صار بعد ذلك القمص إبراهيم عطيه نيح الله نفسيهما . كانت تبكى بكاء شديدا فتصورا أنها لا بد متخوفة من قطع رجلها . فطفقا يعزيانها ويشددانها لتثبت فى الإيمان .

أكدت لهما أنها قد سلمت أمرها لله ، ولكن الذى يبكيها هو حزنها على حديث دار بينها وبين رجل أجنبى يرتدى بدلة ودخل عليها وهو ممسك بصورة السيد المسيح المصلوب . قال لها فى غضب وعنف :

« من هذا ؟ »

أجابته السيدة : « أنه سيدى يسوع المسيح » .

سألها : « لماذا عملوا فيه هكذا ؟ »

اجابته : « بسبب خطيتى » .

رد عليها : « اذن فهو الذى يخلصك من خطيتك وليس العذراء يرسلون لك لتتناولى طعاما دسما » (فطارى) .

فتقولين : لا اننى لا أتناول الا طعام بغير دسم فأنى صائمة صوم العذراء ! لابد أن تفطرى .

أجابته : « لا . لن أستطيع ذلك . ولا يوافقنى أبداً أن أفطر » .

قال لها : « أنا أقول لك أن الأطباء مصرّون على ذلك فلابد أن

تأكلى ما يقدم لك ولا تعاندى » .

قالت : « ياترى إذا أفطرت هل الأطباء لا يقطعون رجلى ؟ »

أجابها : « بالطبع لا . هذا أمر آخر » .

قالت : « إذا كانت رجلى مقطوعة ولا محالة فاتركنى صائمة »

فصاح فيها ووبخها وخرج ومن وقتها وهى تبكى بكاء عنيفا .

شجعاها ، وصليا معها ودهنها الكاهن بزيت مسحة المرضى وخرجا . وفى الساعة الخامسة صباحاً فى الفجر دق جرس التليفون فى المطرانية . « من ؟ » قالوا : « مستشفى الأمريكان » . فهم الذى استقبل المكالمة أنه لابد أن السيدة المريضة ماتت .

قالوا : « نريد منكم أن ترسلوا لنا على الفور الشخصين اللذين كانا فى زيارة المريضة فى حجرة رقم ١١ للأهمية » .

خرج الاثنان وذهبا إلى المستشفى وإذا بالطبيب الكبير الأمريكانى يستقبلهما مصفقاً كفا على كف ويقول لهما باللغة العربية الفصحى : « حقا ان فى كنائسكم عجائب !! »

ماذا حدث ؟ ذهبوا إلى حجرة السيدة فوجدوها واقفة فرحة ومتهللة . سألوها : « ما الموضوع ؟ » أجابت :

« دموعى لم تجف . وفجأة لم أدر بنفسى . لابد أننى نعست ونمت حين دخلت علىّ سيدة ترتدى ملابس بيضاء ومعها واحد له دقن طويلة ، ويمسك زجاجة .

قلت لها : « من أنت ياسيدتى ؟ » اجابتها : « أنا أم المخلص : أنت نائمة متألمة باكية من أجلى ؟ »

قلت لها : « ياستى . رجلى سوف يقطعوها فى الصباح » . قالت لها : « لا . لا تخافى . لن يقطعوا رجلك » . أمسكت السيدة العذراء رجل السيدة المريضة وقالت : « اقترب وادهن رجلها » .

تقول السيدة المريضة ان السيدة العذراء لم تخبرها عن اسم الشخص الذى كان معها ولا عرفت المريضة شيئا عن اسمه . أمسك رجلها ودهنها بالزيت ثم خرجا . وظلت السيدة تصيح بصوت عال .

« ياست ياعذراء . ياأبونا . ياست » وجرت وراءهما مكررة الكلام بعينه . ومكثت تجرى فى طرقات المستشفى ، واستيقظ المرضى وكان بعد منتصف الليل . وكانوا يستفسرون عن السيدة وسبب صياحها . واندهشوا عندما عرفوا أنها المريضة فى حجرة رقم ١١ . دخلوا حجرتها و لم يجدوها . فتأكدوا من صحة القصة . ايقظوا الطبيب الأجنبى وكان يسكن فى المستشفى . ولما سمع الخبر طفق يصفق كفا على كف . ومن وقتها وهو يقول : « حقا ان فى كنائسكم عجائب » .

تجمع الأحباء وهم الذين اقترحوا أن يبلغوا الخبر إلى المطرانية . ولما جاء الرسولان وجدا الموضوع بهذا الشكل .

وقصص كثيرة من هذا النوع ولا شك انها التى قالت عن نفسها : « منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى » . ونحن فى كل جيل ، وفى كل يوم ، وفى كل ساعة نختبر فعل صلاة وشفاعة السيدة العذراء المقبولة . بركة صلاتها وشفاعتها تكون معنا . آمين .

+ ليتك تركع بصفة دورية للتأمل فى حادث الصلب . حدد وقتك الذى تستريح له هل فى الساعة السادسة أو التاسعة من النهار . أم فى مساء يوم الخميس . كما ترى .

+ تأمل فى القطعة الأخيرة من صلاة الساعة التاسعة :

« عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقاً ، قالت وهى باكية : أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص ، وأما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يابنى وإلهى » .

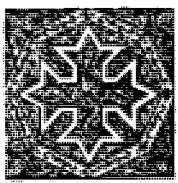

الدرس العشرون ــ آباء الرهبنة والخدمة

١ ــ القديس الأنبا أنطونيوس أب الرهبان :

« اعلموا ياأولادى أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة بل نور حقيقى وسرور أبدى لكل من أكمل طاعتها » .

رسالة ١٤ لأنطونيوس

« حقا أن حياة أنطونيوس نموذج صالح للحياة النسكية » .

أثناسيوس

« أن سيرة حياة أنطونيوس بقلم أثناسيوس ، هى فى الحقيقة قانون للحياة الرهبانية فى صورة قصة » .

غريغوريوس النزينزى

ولد فى سنة ٢٥١م وتنيح فى سنة ٣٥٦م . وحين نقرأ قصة حياته نرى إلى أى حد أثرت حياة هذا القديس واتجاهاته وأقواله وأعماله فى آباء البرية عبر العصور سواء كانوا رهبان متوحدين أم مجمعيين يحيون حياة الشركة وهو بالحقيقة أبونا الكبير ، أب النساك فى الكنيسة وفى كل العالم المسيحى ... .

أما نسكه فكان على أساس انجيلى فلم يكن القديس يهدف إلى

النسك فى حد ذاته بل كان يعتبر كل الجهادات النسكية تعبدات وانشغال محبة نحو السيد على أساس أن كل ما فى الإنسان ــ الذى هو ملك لله ــ يشبع بالالتصاق به وتقديم الحياة كلها لله سر قوة النسك .

سأل أخ القديس أنطونيوس : « **ما الوصية التى إذا عملتها أكون أرضيت الرب ؟** » . فأجاب : « **أجعل الرب أمام عينيك على الدوام أينما سرت ، وقبل كل عمل اجعل لك شهادة من الأسفار المقدسة** » .

القول رقم ٣٥ بلاديوس

أسس نظام الرهبنة (الوحدة) ومع محبته الشديدة للوحدة تلمذ القديس مقاريوس الكبير الذى أسس نظام الجماعات كما فرح جدا بأخبار باخوميوس مؤسس نظام الشركة ومدحه ... هكذا لم يحمل روح التعصب لنظام معين ! وحبه الشديد للوحدة لم يغلق قلبه نحو الجماعة المقدسة (الكنيسة) بل كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بحبها وخدمتها أحس بآلامها وأنينها وقام بالتزامات كثيرة من نحوها .

فنزل إلى الاسكندرية أكثر من مرة على الرغم من شيخوخته وحياته الانعزالية . كان يزور السجون ويعظ المسجونين ويشوق لهم سفك الدم من أجل فاديهم الأقدس ، ويشترك معهم فى الصلاة والترتيل والتسبيح . وكان يقصد مقالع الحجارة والمناجم حيث كان

يحكم على كثيرين من النصارى بالشغل فيها ، ويجمعهم كل يوم ويعظهم مخففاً بكلامه الروحى أتعابهم ويعدهم بالسعادة الأبدية . وكان يذهب إلى المحاكم ويحضر جلسات محاكمة المؤمنين ويحامى عنهم جهاراً ، ويظهر فساد دعاوى المدعين وتزاويرهم . قال المؤرخون ان الذين تنصروا فى الثغر بعظات انطونيوس كانوا أكثر ممن تنصروا بخدمة الكنيسة كلها فى مدة عام كامل .

[وحينما كف الاضطهاد بعد أن تقبل بطرس خاتم الشهداء اكليله ، غادر انطونيوس الاسكندرية وعاد راجعا إلى وحدته حيث قدم نفسه كل يوم شهيدا ازاء ضميره محاربا فى معارك الإيمان الخفية ، إذ كان يمارس النسك بغيرة فائقة][1] .

ولما انتشرت هرطقة أريوس ، وكادت العقيدة فى لاهوت الرب يسوع ان تتزعزع فى عقول بسطاء الاسكندرية ، وكان البابا العظيم اثناسيوس الرسولى يكافحها ولم يجد الأريوسيون سندا لبدعتهم أعظم من أن ينشروا أشاعة أن أنطونيوس العظيم هو أحد أتباع هرطقتهم فلم يستطع القديس انطونيوس الجلوس فى البرية وجاء معلنا على رؤوس الأشهاد ايمانه الحق بلاهوت المسيح كما أنه وجه رسالة إلى الملك قسطنطين ضد الأريوسية دفاعا عن أثناسيوس الرسولى .

(1) Quastin III ch. 47,

وهكذا نجد فى حياة القديس أنطونيوس زاويتين مضيئتين أمامنا . فلم يجنح برهبنته عن روح الإنجيل ، وكان قلبه مفتوحا نحو كنيسة المسيح مستعداً لتلبية ندائها .

ولقد سرت أخبار حياة أنطونيوس فى مصر كتيار جارف فقبل أن يتنيح القديس أنطونيوس بلغ عدد الرهبان الذين كان يدبرهم مائة ألف راهب ولم تنقض خمسون سنة بعد ذلك حتى كاد عدد الرهبان فى برارى مصر أن يكون مساويا لعدد سكان البلاد[1] .

نشر الرهبنة فى العالم بواسطة بطريرك الاسكندرية :

كتب البابا أثناسيوس الرسولى سيرتين للقديس أنطونيوس وقوانينه . احدهما بناء على طلب رهبان مصر وثانيهما بناء على طلب مسيحى روميه . انتشرت هذه السيرة فصادفت النوازع فى نفوس الغربيين وأخذوا فى تأسيس رهبانيات على نظام رهبنة مصر وكان اقبال الشبان الذين هجروا العالم وآثروا الملكوت على قمم الجبال والقفار والصحارى والمغاير والوديان كما جرى فى برارى مصر الشرقية والغربية . انتشر ذلك التاريخ حتى بلغ مدينة تريف على حدود جرمانيا وبلغ اسماع أوغسطينوس فأتت به سيرة أنطونيوس إلى المسيح وبالجملة فقد سار خبر القديس أنطونيوس إلى جميع الاصقاع الغربية حتى فى بريطانيا سموا بعض كنائسهم باسمه بل وجد

(١) انظر روفنيوس ، ومانتا لمبرت ، وأوغسطينوس ، وشاف .

على أقدم الأنصاب المسيحية فى اسكوتلنده نقش يمثل مار أنطونيوس مع صديقه الأنبا بولا . وكذلك المصورون المسيحيون فى أسبانيا وهولندا وغيرها صوروه مجاهدا ضد التجربة .

٢ ــ القديس الأنبا باخوميوس ــ أب الشركة :

مصرى من الصعيد الأعلى ولد سنة ٢٧٢م وضع نظام الشركة الرهبانية بناء على ارشاد ملاك الرب له .

أسس الأديرة الكثيرة فى مصر أول دير له حوالى عام ٣١٨ فى طبانسين بالقرب من بافو . وقد أعطاه الله نعمة فى أعين الكثيرين حتى أنشأ فى المنطقة حوالى عشرة أديرة ، وكان عدد الرهبان فى الدير الرئيسى ببافو حوالى ١٥٠٠ راهباً . جاءه أخوه الأكبر يوحنا حيث ترهب عنده ، كما جاءته أخته فقابلها وشجعها على الحياة الرهبانية وأسس لها ديراً فى الاتجاه المقابل من النيل ضم حوالى ٣٠٠ راهبة تحت قيادة أخته .

زاره القديس أثناسيوس الرسولى ومعه الأنبا سرابيون أسقف دندرة وعندما شعر أن البابا أثناسيوس سيقوم بسيامته كاهناً هرب ، واضطر البابا أن يطمئنه خلال أولاده ، وبالفعل عند عودة البابا من أسوان استقبله القديس بفرح شديد . بهذا قدم نفسه مثلاً حيا للحياة الرهبانية كى لا يشتهى أحد درجة كهنوتية ويجد عدو الخير مجالاً لبث التنافس أو الغيرة بين الرهبان .

سمات القديس باخوميوس :

١ ــ تبقى شخصية القديس باخوميوس بارزة عبر العصور كشخصية قيادية عجيبة جمعت الآلاف فى الأديرة المتقاربة والبعيدة بالصعيد ، يدبر أمرها ويرشدها بروح الحب مع الحزم ، مهتما فى نفس الوقت بخلاص كل نفس ونموها الروحى .

٢ ــ انفتحت الأديرة لغير المصريين مثل اليونان والروم ، ولكل جماعة منهم رئيس يدبر حياتهم فى الرب .

٣ ــ سمح للشخصيات المحبة للوحدة أن تمارس هذه الحياة وكان القديس كثيرا ما يجتمع بالمتوحدين .

٤ ــ عرف القديس بوداعته واتضاعه ، فعندما **سأله بعض الأخوة عن أى منظر أو رؤيا قد أعجبته ، أجاب أنه يعجب بمنظر أخ وديع إذ فيه يسكن الله .**

٥ ــ ظهر له الشيطان مرة على شكل السيد المسيح ، وهو يقول : « إفرح ياباخوميوس لأنى جئت لافتقادك » . أما هو ففى إتضاع أعلن أنه يريد أن يرى السيد المسيح فى الحياة الأبدية لا بالعين الجسدية هنا ، وللحال صار الشيطان كدخان تلاشى سريعا .

٦ ــ **مع حبه الشديد لأولاده ورقته فى التعامل وطول أناته اهتم**

باعالة المحتاجين والضعفاء إذ اشتمل الدير مستشفى وبيتا للضيافة . ولما انتشر وباء الطاعون فى صعيد مصر نظم الخدمة ورعاية المرضى المصابين بهذا الداء .

أهم ملامح نظام الشركة :

١ ــ نال هذا النظام تقدير الكنيسة حتى من قادة نظام الوحدة ؛ فقد إمتدح القديس أنبا أنطونيوس القديس باخوميوس على عمله هذا ، وحسب نجاحه عطية من الله . وقد حفظت سيرة القديس باخوميوس ونظام الشركة فى كثير من التوسع ، إذ وصلت إلينا بأكثر من لغة ولهجة ، كالقبطية البحيرية والصعيدية وأيضا باليونانية .

٢ ــ اتسم النظام الباخومى أنه يناسب الكثيرين ، فمن جهة الصوم يأكل الراهب مرتين كل يوم ، ويمارس صلوات المجمع ويحضر اجتماعات روحية ويستمع إلى عظات ، كما يقوم بعمل يناسب مواهبه وقدراته مثل النجارة أو الفلاحة أو الطبخ أو الغزل أو البناء أو النسخ ولكل جماعة رئيس يدير الأمور مادياً وروحيا ، وكان العمل جزءا أساسياً من الحياة الروحية .

٣ ــ انتقلت قوانين القديس باخوميوس النسكية وأنظمته الرهبانية من مصر إلى بلاد الشام ثم إلى أوروبا ولازالت أغلب الجماعات الرهبانية فى الغرب ترتكز على هذا النظام الجماعى

المنظم روحيا وقام كثير من قادة الفكر الرهبانى فى الشرق والغرب بترجمته وتطبيقه عمليا منهم القديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا كاسيان والأب بندكت الذى وضع نظامه المشهور كأب للرهبنة الغربية مقتبساً الكثير من النظام الباخومى .

نياحته

تنيح القديس الأنبا باخوميوس بسلام سنة ٣٥٨ وله من العمر ٨٧ سنة بعد أن أوصى بالشيخ بترونيوس خلفاً له يعيد له الغرب فى ١٤ مايو ، وتعيد له الكنيسة القبطية فى ١٤ بشنس .

٣ ــ القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين :

عجبا أن يحفظ التاريخ لهذا القديس لقب « رئيس المتوحدين » وهو فى ذات الوقت الرائد الفريد للرهبنة القبطية الخادمة . وكم تحتاج جوانب حياته الزاخرة منا نحن الأقباط عامة ، والرهبان خاصة إلى جهود لأبراز ما تحمل من ذخائر ، وما تشع من أضواء بتتبع من قلوب الذين خرجوا إلى البرارى ليتمتعوا بالنمو فيها لتنتشر هذه الأضواء إلى أرجاء الكنيسة والمجتمع عبر البلاد وعبر العصور .

وفيما يلى نعرض فى اختصار لبعض جوانب هذه الحياة :

١ ــ ناسك : عرف عنه منذ صغره أنه كان يخرج مع الرعاة لرعاية مواشى أبيه فينفرد ليلاً ويصلى صلواتٍ طويلة ويترك لزملائه طعامه ملتزما تقشفا خاصاً .

ولد سنة ٣٣٣ وتوفى سنة ٤٥١ أى فى سن ١١٩ سنه : ترهب عند خاله الأنبا بيجول وتسلم رئاسة الجماعة بعده فباشر نظاما رهبانيا مدققاً على حوالى ٤٠٠٠ من الرهبان وحوالى ١٨٠٠ من الراهبات . عاش الجميع على النظام الباخومى فى تقوى وتحت ادارة حكيمة .

٢ ــ معلم : احب الكتاب المقدس والزم الرهبان بدراسته دراسة دقيقة وكان يلقى العظات والتفسير بنفسه أو يرسلها إليهم فى حالة غيابه فجمع جمعاً فريداً بين النسك والحياة الانجيلية .

٣ ــ خادم للمجتمع : تميز بقيادة رهبانه فى خدمة الكنيسة . وكانت أديرته مفتوحة لأطعام الجياع وكساء العرايا . والمدارس الملحقة بالأديرة علمت الرهبان والعلمانيين والرهبان الأطباء التزموا بمعالجة الشعب مثل معالجة أخوتهم الرهبان .

حدث مرة أن هجمت قبيلة من البربر اسمها « الباجات » على منطقة أخميم وسبت كثيرين من الرجال والنساء واستولت على غنائم

كثيرة . ولما وصل الخبر إلى شنوده عبر النيل ولحق بالجماعة فى الجهة الغربية فذهب وواجه قائدها وقال له : « خذ الغنائم واعطنى الشعب » . وفى الحال رحب القائد بذلك وتسلم القديس عشرين الفا من النفوس . فآواهم جميعا فى الأديرة ثلاثة أشهر يقوم الأطباء من الرهبان بمعالجة المرضى ، والمعلمون بتعليم الصغار ، والمكلفون بخدمة الضعفاء اهتموا بالشيوخ . وفى تلك الفترة مات أربعة وتسعون من هؤلاء اللاجئين ، كما ولد اثنان وخمسون طفلاً واستنفذوا فى طعامهم ثمانين ألف أردب من الحبوب إلى أن أعيد توطينهم فى بلادهم .

٤ ــ **قائد وطنى** : تزعم انبا شنوده مهاجمة سلوك بعض كبار الملاك من اليونان والرومان وكانوا يظلمون الفلاحين الفقراء وظل ينتقدهم حتى اضطر كثير منهم أن يتنازلوا عن جزء من أراضيهم للفلاحين .

٥ ــ مصلح اجتماعى : كان يقود جماعات الرهبان إلى البلاد المختلفة ويهدم المعابد الوثنية ويبنى الكنائس حتى وصلوا إلى الواحات وشيدوا بها كنيسة أراحت نفوس الشعب وجمعتهم . هاجم الشعوذة والسحر والبدع الدينية ورافق القديس كيرلس الكبير فى مجمع أفسس .

٦ ــ **أديب كبير** : كان يخطب ويكتب بلغة فصيحة أدبية باللهجة القبطية الصعيدية . وأن أعظم تراث فى تلك اللهجة هو

ما تركه القديس شنودة حتى أن البعض يعتبرونه الأديب الذى طوع هذه اللغة وأعطاها الشكل الكامل الأدبى . وتراثه اللغوى يملأ متاحف ومكتبات العالم من خطابات وخطب وعظات فى الموضوعات الروحية والكتابية والاجتماعية والوطنية ومواجهة جوانب الحياة الرهبانية والمدنية على السواء .

وبالجملة ليس غريبا أن يقول القديس كيرلس الكبير عنه : « لم يكن شنوده قديسا فقط بل كان قديساً ونبياً » .

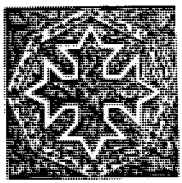

الدرس الحادى والعشرون ــ قديسون آخرون

ويعوزنا الوقت لنتحدث عن أولاد الأنبا أنطونيوس والأنبا باخوميوس وأبو مقار الذين خدموا جيلهم بمحبة صادقة أمثال أبيفانيوس وايلاريون وآمون وآمونيوس وبفنوتيوس وأثناسيوس الرسولى وديديموس وغيرهم .

فيما يلى نسرد بعض سير الآباء القديسين الذين كان لهم دور فعال فى الكرازة والخدمة فى القرن الثالث والرابع وفى عصرنا الحاضر .

١ ــ القديس **ابيفانيوس** أسقف سلاميس الذى ترك فلسطين إلى مصر حوالى عام ٣٣٥م التقى بالقديس الأنبا أنطونيوس وتتلمذ على يديه فترة من الوقت ليعود من مصر إلى فلسطين وينشىء ديراً فى اليوتروبوليس بفلسطين تحت ارشاده لمدة حوالى ٣٠ عاما . وانتخب أسقفا على سلاميس أكبر كرسى فى جزيرة قبرص فى ذلك الحين سنة ٣٦٧م اتسم بغيرته الشديدة وحزمه بخصوص الإيمان مع حب شديد فائق للفقراء ، حتى لم يكن يترك فى الأسقفية أحيانا شيئا قط .

ولد حوالى عام ٣١٥م وتنيح فى يوم ١٧ بشنس حوالى عام ٤٠٣م .

٢ ــ والقديس **ايلاريون الكبير** تلميذ القديس الأنبا انطونيوس الذى نجح فى تأسيس الحركة الرهبانية فى كل فلسطين وقد أجرى الله على يديه أعمالاً فائقة فتحولت الجماهير اليه تطلب صلواته . وإذ كان يصعب صعودهم بالمرضى كانوا يقدمون لهم زيتاً قد صلى عليه وآمن كثيرون من الوثنيين على يديه .

ولد حوالى عام ٢٩٢م وتنيح فى ٢٤ بابه بالغاً من العمر الثمانين .

٣ ــ والأنبا **آمون** أسقف هرموبوليس (الأشمونين) واستقبله القديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس ولم يبق طويلا فى الدير . عاش ١٤ سنة فى نتريا ثم رسمه بعدها القديس اثناسيوس أسقفا وكان مملوءاً حلاوة ووداعة .

ولد حوالى عام ٣٣٦م وتنيح غالبا عن ٩٤ عاماً .

٤ ــ **والقديس آمونيوس** الذى تتلمذ للقديس أنطونيوس ودرس قوانين الرهبنة المقدسة ثم أوفده القديس أنطونيوس إلى منطقة جبل نتريا ليؤسس أديرة هناك فتبعه جمهور عظيم

من ناذرى العفه ولم تمض ثمانون سنة حتى احتوى وادى النطرون على خمسين ديراً .

ولد سنة ٢٩٤ وكانت نياحته فى سن ٧٣ سنة .

٥ ــ **والقديس بفنوتيوس** تلميذ الأنبا أنطونيوس الذى اختير أسقفا فدبر رعيته بالحكمة التى اكتسبها من القديس البار أنطونيوس واعتنى بوضع قوانين كنسية وتعاليم انجيلية فنمت ايبارشيته وتقدم أهلها .

٦ ــ **وأثناسيوس الرسولى** بطل الأرثوذكسية العظيم ٢٩٦ ــ ٣٧٣ البطريرك العشرون ولد بمدينة الأسكندرية سنة ٢٩٦م من والدين مصريين وهذا يدل على قبطية أثناسيوس . تتلمذ للقديس أنطونيوس واقتبس عنه فضائل النساك والمتعبدين . كتب سيرة حياة القديس أنطونيوس باليونانية وترجمها ايرونيموس إلى اللاتينية . نشر كلمة الإنجيل داخل القطر وخارجه وكان أول ثمار مجهوداته تأسيس كنيسة الحبشة ورسامة فرومنتيوس أسقفا عليها سنة ٣٣٠م .

قام بافتقاد رعاياه ومضى فى سياحته إلى أسوان فاستقبله الرهبان تحت رئاسة القديسين العظيمين انبا باخوميوس وانبا بلامون وهم يرنمون المزامير وكانت عادة البابا

اثناسيوس أن يلجأ فى أوقات ضيقاته إلى مغاير المتعبدين على طول شاطىء النيل وكان طعامه الخبز الناشف وإذا عطش شرب من ماء النيل براحتيه وإذا تعب جلس على حصيرة رثة والتحف بالسماء وكان يصرف أوقاته فى المغاير .

وبلغ أعجاب الغربيين به أن نقلوا رفاته تدريجيا نحو بلادهم من الاسكندرية إلى القسطنطينية فالبندقية ففرنسا فأسبانيا وقد أحضر رفاته إلى مصر فى عهد البابا شنوده الثالث فى ١٠ مايو سنة ١٩٧٣م .

٧ ــ **وديديموس الضرير** (٣١٨ ــ ٣٩٦) :

كان ديديموس صديقا حميما للقديس أنطونيوس عينه البابا أثناسيوس الرسولى مديراً للمدرسة اللاهوتية فكان أستاذاً ماهراً ومدافعاً قوياً عن الإيمان القويم تتلمذ له روفينوس وايرونيموس اللذان درسا أحوال الرهبنة فى مصر ولما كان كثيرون من ذوى البصر يتلقون العلم عنه لقب حينئذ « الأعمى البصير » .

٨ ــ ومن كبار رهبان القرن الرابع الأب **موسى القبطى** الذى كان يعيش فى صومعة فى الصحراء الواقعة بين مصر وفلسطين وقد أجرى الله على يديه آيات ومعجزات بين قبائل البدو المقيمين بتلك الجهات تحت رعاية الملكة مافيا

التى طلبت أن يعين لبلادها موسى أسقفا مع أنها لم تكن مسيحية ولما تعين انتشرت بواسطته الديانة المسيحية بين جماعة البدو .

٩ ــ **والأنبا أغاثون** أحد آباء البرية فى القرن الرابع أيضا تتلمذ وهو حدث على يدى القديس بيمين وتعرف فى الاسقيط على الآباء القديسين آمون ومقاريوس ويوسف وبطرس .

عاش متجردا من كل شيء ، لا يملك شيئا سوى سكينا يشق بها الخوص أينما وجد ، استطاع بحكمته الفائقة وتجرده مع محبته ولطفه أن يكون له أثره الفعال فى حياة الكثيرين .

ومن أقواله : « **أود أن أجد رجلا مجذوما يأخذ جسدى ويعطينى جسده** » .

١٠ ــ **والقديس مقاريوس الاسكندرى** ولد فى أواخر القرن الرابع . عاصر القديس مقاريوس الكبير وذهب إلى البرية حوالى سنة ٣٣٠م .

ولما سمع عن أنبا باخوميوس فى دير طبانسين وعن رهبانه اشتهى أن يراه فقبله أنبا باخوميوس ــ بعد الحاح ــ راهبا فى ديره وقد أعطى من الله موهبة صنع المعجزات وشفاء الأمراض ومع أنه كان ناسكاً متحمساً لكنه كان بشوشاً ومحباً للآخرين .

التف حوله اكثر من ٥٠٠٠ راهب ومتوحد فكان يرشدهم . كان يصلى فى النهار مائة مرة ، ويقضى أكثر الليل فى الصلاة .

أما موضوع تأملاته فكان « يسوع المصلوب » يتأمل فى الآمه ويرثى لأمه الطاهرة التى كانت واقفة تحت صليبه وله قوانين كثيرة طبعت فى باريس سنة ١٦٣٧م .

وهناك الرهبان الذين بشروا العالم فكان من بين الذين حملوا بشارة الإنجيل المفرحة إلى ايرلندا سبعة من الرهبان المصريين هؤلاء تركوا آثاراً عميقة وعلامات ثابتة فى حياة الناس وفنهم .

نستعرض الآن صوراً لآباء من رهبان عصرنا الحاضر . كانت حياتهم عادية لا يختلفون كثيراً عن غيرهم من الناس فى الاستيقاظ المبكر ــ الفرصة الهادئة المشبعة مع الله ــ عمل قربان الحمل ــ خدمة القداس ــ العمل فى المجمع ــ المشاركة فى عمل الخبز ــ الخروج إلى الحقل ــ الضيافة ــ النظافة ــ اعداد الطعام ــ العبادة ــ الخلوة ــ الكتابة ــ النسخ ــ المطالعة وغير ذلك من الأنشطة ــ مع بساطة النفس وصفاء الفكر . سهولة الكلام أو قلة الكلام .

نتصور القمص منصور البرموسى الذى صار فيما بعد الأنبا ايساك أسقف البحيرة والغربية وكفر الشيخ ، وأبونا عبد المسيح

المرزوقى الذى صار فيما بعد الأنبا كيرلس مطران قنا والأنبا ابرام أسقف الفيوم والبابا مكاريوس الثالث والبابا كيرلس السادس وغيرهم الذين لم يتبوؤا كراسى أسقفيات .

ويسرنا أن نورد بايجاز سيرة القديس **الأنبا ابرام أسقف الفيوم** (١٨٢٩ — ١٩١٤) .

أسقف أنجيلى :

+ كان يجمع شعبه كل يوم للصلاة مساءً مع دراسة الكتاب المقدس الذى كان يطالعه كل أربعين يوما مرة .

+ خصص الدور الأول من داره للفقراء والعميان والمرضى . وكان يرافقهم أثناء طعامهم اليومى وله فى عطفه عليهم قصص مذهلة . أما عجائبه فى اخراج الشياطين فلا تحصى .

+ كان بسيطا فى ملبسه وفى مأكله ، يعيش بالكفاف ضابطا نفسه من كل شهوة .

قال عنه الكاتب الانجليزى ليدر وزوجته : « هذا القديس الشيخ عرفه العالم الشرقى كله ، وأدرك أنه الخليفة المباشر لسلسلة المسيحيين الأولين غير المنقطعة » .

« كنا فى حضرة المسيح وامتلأنا بروح الله فى لقائنا معه » .

والبابا مكاريوس الثالث البطريرك (١١٤) ١٨٧٢ — ١٩٤٥

انكب فى الدير على العبادة ودرس الكتاب المقدس والكتب الكنسية وقد امتاز بالنساخة وحسن الخط القبطى والعربى . كما أتقن فنون الزخرفة القبطية الدينية حتى جف أحد أصابع يده اليمنى نتيجة مسك القلم مدة طويلة . ترك فى دير الأنبا بيشوى عدد ٥٠٠ قطعة من الفن القبطى . أحب التسبحة وسهرات ليالى كيهك إلى الصباح واللغات فكان يتقن اللغات العربية والقبطية والفرنسية والانجليزية وكان يعرف أيضا اليونانية والأمهرية . كانت له جلسات طيبة مع الشعب بكل فئاته تتخللها الأحاديث التى تدل على عمق الروحانية وسعة الفكر وحب الكتاب المقدس حيث يقرأون أصحاحات متتالية يتخللها تأملات عميقة وأفكار طيبة وأحاديث عن العقيدة والحياة الروحانية . وأقام القداسات المتأخرة طوال مدة الصوم الكبير ووضع قوانين للكنيسة والاديرة فى عهده .

كان بالحقيقة اباً روحيا ، وراعيا صالحاً .

والبابا كيرلس السادس : ابونا مينا المتوحد البطريرك ١١٦ رجل الصلاة عاش راهبا متوحدا فى جبال مصر وصحاريها مدة طويلة ١٩٥٩م إلى ١٩٧١م وكسائر الرهبان كان يستيقظ مبكراً وبعد صلوات يخرج من قلايته نشيطا . يخبز قربان الحمل ثم يقيم القداس فى فرح ثم يستقبل الضيوف ويشرب معهم القهوة ويصلى لهم ويغسل ملابسه الخاصة بنفسه . فى المساء يعتكف للصلاة والقراءة والنسخ وكانت سلوته مار اسحق . قيل أنه كتب كتابات

مار اسحق أربع مرات حتى كاد يحفظها عن ظهر قلب وكذلك التسبحة اليومية التى كان يحضرها مع الشعب .

جعل من كنيسة مارمينا بمصر القديمة معهداً يسكن بجواره طلبة من الجامعات فنالوا رأس الحكمة التى هى مخافة الله وكذلك كان حاله فى البطريركية . يصلى القداسات كل يوم على مدار السنة وفى الصوم الكبير تنتهى الخدمة نحو الساعة الخامسة بعد الظهر أما فى بقية الأيام فكانت مبكراً مقدراً ظروف الناس وأعمالهم . وأحياناً كانت القداسات تقام حسب عدد المذابح الموجودة فى الكنيسة معبرا عن الشركة مع السمائيين .

كان طعامه بسيطاً ولم يكن يرفض شيئا سواء أكل أو شرب مع الناس أو كان منفرداً . كان حكيماً وبسيطاً صافى الذهن والقلب . وقد يختلف مع إنسان ولكنهما حين يتقابلان ويتفاهمان يقول « انتهى الأمر » .

فى اجتماع رؤساء الكنائس الشرقية ـــ وحضر غبطته بعد يومين من موعد الاجتماع مما اضطر الوفود إلى تأخير الاجتماع حتى وصوله ـــ القى كلمة دون سابق تحضير جاء فيها :

« كما أن الله ينزل الأمطار على جبال اثيوبيا فتسيل وتنزل إلى نهر النيل والروافد الصغيرة وتمر لتروى بلاداً وشعوبا كذلك الروح القدس الذى يحل علينا فى هذا الاجتماع يملأنا مثلما ملأ الرسل

الأطهار يوم عيد البنطيقستى ـــ الخمسين . فننزل ونتفرق إلى بلادنا وشعوبنا لنخدمها . فلنمجد الله لأنه جمعنا ويقودنا » .

يقول نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف وهو الذى قام بترجمة الكلمة والقائها ـــ ان ذلك الكلام كان مذهلاً ومعزيا للجميع فى بداية الجلسة . هكذا عاش غبطة البابا كيرلس السادس بصورة عبرت عن عمق شركته مع الله وبساطته ونقائه وفرحه وعمله الدائم .

ضرورة ملحة :

وعلى مر التاريخ انتفعت الكنيسة من الرهبان فى سائر الخدمات ففى النصف الثانى من القرن العشرين أزداد التلاحم بين الرهبنة والخدمة فى الكنيسة بشكل لم يسبق له مثيل وكم ينادى أصحاب النيافة الآباء الأساقفة المعاصرون والآباء الرهبان بضرورة ايجاد نظام يبين طريق الرهبنة الخادمة والرهبنة المعتكفة واقامة تداريب ودراسات ونظام حياة رهبانية لكل من أعضاء الطرفين حتى يزداد نموهم كل فى طريقه دون تهاون فى العبادة أو الخدمة .

ولا يزال هناك حاجة إلى رعاية المؤسسات مثل بيوت الشباب ، وبيوت المغتربين والمغتربات ، وبيوت الطفولة حيث الأولاد . والبنات والرضعان (الحضانة) الذين تحتاج نفوسهم إلى روح الأبوة والأمومة . روح الحب والرعاية المكرسة الشبيهة بتكريس

الوالدين حياتهم لأبنائهم حتى يشبوا بالرضا والفرح والنفسية السليمة فيكونون أعضاء ناجحين فى المجتمع . وخدمة المعوقين عقليا والمشوهين جسديا الذين تعطيهم المجتمعات الحديثة اهتماما ضخماً كتعبير مبارك عن قيمة الإنسان والنفس البشرية ، ولكى يصيروا أعضاء نافعين منتجين سعداء ، وبيوت العجائز سواء الفقراء منهم أو ميسورى الحال ، الرجال والسيدات يحتاجون جميعا إلى رعاية كنسية فى ظروف شيخوختهم وضعفهم ، والخدمة فى الكنائس الضعيفة ماليا والخدمات التجولية الدائمة والكرازة فى المناطق النائية سواء فى بلادنا أو خارج القطر حيث تحتاج الأوضاع إلى مجموعات منظمة من أفراد غير مشغولين باهتمامات عائلية ليقوموا أيضا بأعمال الافتقاد والتعليم والتخصصات الدراسية والكنسية المختلفة .

وهكذا كشفت الرهبنة عبر تاريخها أن علاقتها بالخدمة العامة حوت أمرين : أولهما أن محبة الكنيسة والانشغال بظروفها كانت خطاً ثابتا منذ نشأتها زامل خط الأنعزال الفكرى عن أخبار العالم . وثانيهما أنه منذ نشأة الرهبنة تأسيساً على التوحد وترك العالم كان بين المترهبين من التزموا بالخدمة الكنسية فى صور مختلفة . والكل رهبان نساك قديسون خدام للرب بتسابيح وصلوات وعمل اليد . أما الخادمون منهم فالبعض التزم بالوافدين اليه فى مكانه والبعض الآخر لبى النداء لخدمة الشعب فى مواقعه .

الدرس الثانى والعشرون ــ نداء العصر

ان مهمة الكنيسة فى العالم هى معاونة الناس على التمتع بنعمة الخلاص ، وما يتبعه من سلام قلبى ، وسلوك اجتماعى . وعالم اليوم زاخر بالاتجاهات والتيارات المتباينة والاضطراب الذى يمس نفوس الأفراد والجماعات فمنذ الحرب العالمية الثانية حدث تطور سريع فى المجتمع العالمى والمجتمع المصرى والقطاع القبطى .

فتغيرت الأنماط التقليدية لحياة الناس فى مواعيد الاستيقاظ والنوم والعمل . وضعف الاستقرار النفسى الذى كان يتمتع به الناس من قبل . وتشكلت بصور أخرى العلاقات الأسرية التى كانت هادئة وقانعة وأصبحت محاطة بظروف معقدة ، منها ما يتعلق بالانشغال بالحاجيات المعيشية ، ومنها الأحوال العامة التى تزعج النفوس حتى ضعفت فى أفراد الأسرة قوة استقبال التوجيه الدينى واهتزت روابطها بالكنيسة وصارت الحاجة الملحة هى أن تسعى الكنيسة إلى الناس وان يكون افتقادها لهم لاقامة أسس الحياة الدينية والمسيحية والإنسانية وهكذا صارت سمة العصر التغير السريع مما يتطلب مواجهة متطورة وخبرة متنوعة .

ولقد تكاتفت ظروف صعوبة الحصول على المساكن المناسبة مع كل ما سبق فازداد بعد الناس عن الكنيسة وانشغالهم بأمور الحياة

ومطالبها . كما أدى ذلك إلى العجز عن تقديم الرعاية اللازمة لأصحاب الحالات الخاصة كالمسنين والمعوقين والمشردين جسديا أو نفسيا .

ولا تنحصر نتائج هذا التغير فى نطاق المجتمع العام بل تظهر فى النطاق الكنسى الأمر الذى دعا الكنيسة إلى أجراء تغيرات فى نظم الخدمة من نواحٍ كثيرة .

فعلى سبيل المثال : لم يعد التعليم الدينى قاصراً على العظات خلال الخدمات الطقسية كما كان الحال فى الأيام السابقة بل صارت الاجتماعات المسائية وسيلة أساسية للتعليم الكنسى وتنوعت هذه الاجتماعات حسب الأعمار المختلفة ومستويات الثقافة . فهناك خدمات متميزة للمتعلمين وغير المتعلمين من مستويات الطفولة والفتيان والشبان والسيدات والأسر وغيرها .

ولم تعد المسألة مجرد اجتماع يرجع بعده الناس إلى بيوتهم بل اهتمت كثير من الكنائس بايجاد وسائل الخدمة المتكاملة الروحية والاجتماعية والثقافية والترويحية واتسع هذا المجال من أجل مساعدة الناس على ممارسة الصفات والفضائل المسيحية فى العلاقات الاجتماعية الطيبة فى جو عائلى ومناقشات بناءة فيشبع النفوس وينميها نموا سويا .

وتغيرت العلاقة بين الكبير والصغير فبدلاً مما كانت طاعة وخضوعاً دون تشكك دخلتها المناقشات والشكوك الأمر الذى جعل تدبير الصغار والجماعات بالغ الصعوبة فلم تعد السلطة مقبولة

من غير التفاهم كما يحدث أيضا تذبذب بين الأسلوبين القديم والجديد فى تدبير الأمور .

وفى الخمسين سنة الأخيرة حدث تطور كبير فى الخدمات الطقسية وهى أكثر الأمور رتابة فى الكنيسة فصارت قداسات يوم الجمعة لا تقل أهمية عن قداسات يوم الأحد وتقام قداسات كثيرة ومبكرة خلال الأيام تتناسب مع مواعيد أعمال الناس .

أما التسابيح فبعدما كانت باللغة القبطية تغيرت فى أوائل القرن التاسع عشر ودخلت مدائح باللغة العربية كما فى تسابيح كيهك وتتسم هذه التسابيح بأن لها قائداً يتلوها عدداً عدداً ، بينما يردد الشعب القرار وراءه . وهذه سمة تنطبق على المجموعات ما قبل نشر الطباعة وعمومية التعليم .

ثم دخلت ترانيم حديثة يشترك فيها عامة المجتمعين يتابعونها من الكتب التى فى أيديهم .

وهناك مناسبات كنسية مثل ليلة رأس السنة الميلادية وليلة عيد النيروز صارت مناسبات حيوية وليالى صلاة وانتعاش تسير عليها الكنائس فى داخل القطر وخارجه .

وتواجه الكنيسة ظروفاً خارجية فى صورة نشاطات فكرية وعقيدية تحيط بها ضغوط اقتصادية واجتماعية شديدة مما يؤدى إلى أزمات نفسية واضطرابات عاطفية بعيدة المدى .

فالواجب الملح حاليا أن ندرس هذه الاتجاهات ونستعرض المواقف والحوادث ونحللها ونتعرض لأسبابها ونرتب أساليب خدمتنا طبقا لها .

النواحى التكريسية :

كان فى الكنيسة الأولى شمامسة وشماسات وكانت هناك بيوت عذارى . ولما ظهرت الرهبنة القبطية قامت على مجرد العزم والثبات فى الطريق مع لبس شكل معين بسيط . وبمرور الزمن تحدد طقس للرسامة . لم تكن حركة كهنوتية لكنها حركة شعبية ، انطلق الشعب إليها لا لتولى مراكز قيادية فى الكنيسة وإنما لممارسة حياة مسيحية على مستوى التجرد الكامل بتكريس كل الوقت قدر ما استطاع الإنسان للعبادة وممارسة الحياة الإنجيلية فى تركيز كامل . وفى العصور الوسطى هبط عدد الأديرة والرهبان فى مصر فتجمعت فى الدير الواحد نظم الجماعات الرهبانية فى كل صورها « التوحدية والجماعية والفردية التوافقية » .

وعلى الرغم من أن الترهب كان يعنى فى أصله اعتزال العالم والعكوف على العبادة ، غير أن الارتباط بالكنيسة العامة والسعى لأداء الواجب نحوها كان عنصراً ملحوظاً فى حياة الرهبان منذ بداية انتظام صور الرهبنة .

ومن الرهبان من أغلق أذنيه عن العالم ومنهم من كان شديد الاحساس بالناس وبظروفهم .

والراهب المعتكف يترك العالم بمباهجه ليعيش فى السكون يسمع تنهدات البشرية وصرخاتها التى قد لا تجد من ينصت اليها فى وسط دوامة العالم باضطراباته ومباهجه فيخدم العالم بصلواته وارشاداته .

ما أسعد النفس الهادئة ، وما أعذب السكون والتأمل فى الله . والنفس التى تعرف السكون والتأمل يسبيها الحال ، وتتمنى الاستمرار فيه . وكم من النفوس تركت العالم لأنها تخلصت من كل مشاغله ، وأحبت التفرغ للعبادة والتأمل . وفى هذا السبيل نشأت الرهبنة فى مصر وانتشرت فى كل العالم .

وكانت الصحارى الشاسعة المحيطة بوادى النيل ، التربة الأولى التى نبتت فيها الرهبنة وأينعت حتى انقلبت القفار إلى جنات يانعة غروسها نفوس طاهرة ، أشجارها رواد عمالقة شاخصون إلى أعلى ، عبيرها صلوات لا تنقطع ، وثمارها فضائل نمت من صفاء الداخل والشبع بعصارة الفداء وفعل الروح ، ثم انتشرت فى أرجاء المسكونة فكونت جنات روحية زاهرة فى كل الأقطار .

غير أن فردية الإنسان وجماعيته فى ذات الوقت ، سرعان ما جمّعت المتفردين إلى جماعات ، فبعد النمط الأنطونى نشأت المقارية والباخومية . فأضافت الأخيرة على معالم الطريق ، نظماً رابطة ومواقيت للممارسات .

وكان الأساس فيها جميعا التخلى عن حياة الانتماء للأسرة الخاصة

وما يلزمها من أحاسيس واهتمامات . والجمع بين التأمل والعبادات والعمل الخاص لسد الرمق ومد المساعدة للعلمانيين .

ثم نظرت الكنيسة إلى هؤلاء الذين امتلأوا بقوة الالتصاق بالرب والتخلى عن العالم فندبت منهم للخدمات . كما أن بعضهم ـــ وهم يسيرون فى طريق الأماته ـــ اتجهوا إلى المحتاجين والمعوزين فى العالم فخدموهم بروح عالية من التخلى والاحتمال والفرح ، فكان لخدماتهم عموم ومذاق وعبير تختلف اختلافاً جوهريا عن ذات الخدمات حين يقوم بها غيرهم .

وظل الزمن يسرى ، والحب للطريق يملأ القلوب ، ومدارب الحياة تتباين وتتشعب .

على أن الحياة المعاصرة حياة قاسية ، تضغط على الكثيرين ، حتى لا يجد بعض الخادمين وقتاً للتأمل ناهيك عن الراحة ، وازداد الحاح العالم على الأديرة يتلمس أهله فيها تنفسا روحيا عن متاعبهم . والعالم نفسه بمتاعبه يلاحق بمشاكله نفوس الذين تركوه فيقض مضاجعهم ويلهب مشاعرهم بالتألم على أسواره المتآكله وسكانه المتهالكين .

وباتت الضرورة ملحة لأعادة تحديد معالم حياة غالبية المترهبين حتى يستقر التوازن بين السكون والحركة ، وبين الحب الرأسى والعطف الممتد جانبيا . فأنشئت جماعة راهبات بنات مريم برجاء أن تسد حاجة الأعضاء إلى الشبع وحاجة الأخوة الأصاغر إلى كأس الماء البارد .

فعلى الذين يسعون للاستقرار فى السكون الكامل أن يكونوا حراس الأسوار بصلواتهم ونسأل الله أن يتحقق فيهم قول اشعياء النبى :

« على أسوارك ياأورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام . ياذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت » (اش ٦٢:٦ــ٧) كما نسأله من أجل الذين وضع عليهم مسئولية العمل فى بناء الأسوار أن يقويهم فيتحقق فيهم قول أشعياء أيضا : « ارفعوا إلى السموات عيونكم ، وانظروا إلى الأرض من تحت . فإن السموات كالدخان تضمحل ، والأرض كالثوب تبلى ... اسمعوا ياعارفى البر ، الشعب الذى شريعتى فى قلبه . لا تخافوا من تعيير الناس ... أما برى فالى الأبد يكون وخلاصى إلى دور الأدوار » (اش ٥١:٦ــ٨) .

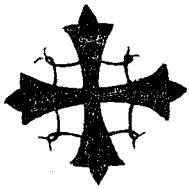

الدرس الثالث والعشرون ــ دير راهبات بنات مريم ببنى سويف

نشأ دير راهبات بنات مريم فى بنى سويف سنة ١٩٦٥ وهو دير للراهبات الخادمات بالكنيسة القبطية الارثوذكسية يحيون وفق عقائدها ومبادئها الرهبانية فى ولاء كامل لرئاسة الكنيسة الدينية ويلتزمون بالقانون الخاص للدير والطاعة لرئاسته .

والأخوات الراهبات يقدمن أنفسهن على مذبح الشهادة للسيد ولا تبتلعهن المشغولية ويتبعن نظاماً دقيقاً وضع أساساً ليناسب اتجاههن الرهبانى الخادم يجمع بين العبادة والعمل للنمو فى الطريق الروحى فى الخدمة الحية الباذلة .

ولقد بارك المطوب مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس هذا الطريق وشجعه وأبدى ملاحظاته المباركة فى نظام الحياة الرهبانية والخدمات بخطوط واضحة من البداية . وكان نيافة الحبر الجليل الأنبا اثناسيوس مطران كرسى بنى سويف والبهنسا مؤسس الدير ومدبر الراهبات يستشير قداسته فى كل خطوة .

وفيما يلى محاولة ابراز المبادىء الأساسية لمعالم هذا الطريق الرهبانى الخادم نضعها فى خمسة نقاط :

التاريخ ، والحياة الديرية ، والمراحل الرهبانية ، والخدمات ، والنظام الادارى .

أولاً ــ التاريخ :

فى غضون سنة ١٩٦٥م نشأ دير راهبات بنات مريم للأقباط الأرثوذكس فى مدينة بنى سويف بعدد قليل يعشن حياة الشركة المقدسة فى شقة صغيرة مستأجرة وسرعان ما زاد العدد فسكن فى مكان كانت الكنيسة قد أنشأته لاسم جماعة الشمامسة المكرسين فى جناح من مبنى الخدمة القبطى المواجه لمطرانية بنى سويف . كان بالسكن عدد عشر حجرات (قلالى) بنى عليها عدد آخر وكان فى الوسط كنيسة صغيرة اتبع فيه نظام الأديرة . كان يقام اجتماع مرتين فى السنة يجمع الراغبات فى هذا الطريق ــ الرهبنة الخادمة ويستمر اسبوعا كاملاً وفى نهاية كل مؤتمر تطبع نشرة باسم « طريقنا » توزع على الراغبات . وازداد عدد الراهبات ازدياداً مطرداً ففى أول أكتوبر سنة ١٩٨١ ترك راهبات بنات مريم السكن الخاص بالمطرانية وذهبن ليعشن فى دير خاص لهن اشترى وبنى بمعجزة سمائية يعوزنا الوقت لسردها لكنها قوة الرب العجيب فى قديسيه الذى يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر (أيوب ١:٤٢) .

« آياته ما أعظمها وعجائبه ما أقواها . ملكوته ملكوت أبدى وسلطانه إلى دور فدور » (دانيال ٤:٣) .

وضع أول قانون للدير فى أواخر سنة ١٩٦٥ وسرى مفعوله من أوائل سنة ١٩٦٦ وبنعمة الله استقرت معالم الطريق وقواعده .

من عمق القلب نقدم الشكر لله . فى نهاية العام الثانى والعشرين على عمله العظيم معنا إذ ينير لنا الطريق بحنانه اللامتناهى . طالبين ازدياد عمله فى تقدم هذا الطريق وكل طرق الخلاص التى تناسب استعدادات ابناء الكنيسة فالنمو السليم للنفس يأتى حين تتجه فى الاتجاه المناسب لها .

ثانياً ــ الحياة الديرية فى رهبانية بنات مريم :

ان الرهبنة تقوم على الهدوء الداخلى والخارجى هدوء الفكر وهدوء الحواس . تسكين القلب قدام الله ليهذ فى ناموس الرب بالمزامير والطلبات وحياة المسكنة الداخلية ، وضبط الحركات والهدوء الخارجى فى أداء العمل والحديث وهكذا تكون كل الطبيعة ــ أى طبيعة الأخت الراهبة ــ وما يخصها فى روح سكون قدام الرب متجهة كلها نحوه بالمحبة الكاملة له والتركيز عليه .

هكذا نحن خرجنا من العالم لنركز عالمنا الخاص على الله فكل ما فينا متجه نحوه بالسكون والهذيذ والتأمل والتعبد والحب وفوق هذا ابتسامة الفرح بالرب تعلو وجوهنا فتعبر عن السلام القلبى

والفرح بالرب لأن محبة الرب التى تنسكب فى قلب الراهبة تظهر فى انبساط الوجه وليس عبوسته .

الراهبة خرجت لتحيا متخلية عن إرادتها فعليها أن تطلب الأذن من أب الدير والأمينة قبل أداء أى عمل . وعليها أن تلتزم بالنظم التى يضعونها لها فى الأذن بالزمن والمكان اللازم لأى مهمة وأيضا فى جهادها الشخصى الروحى حسب قول الأنبا انطونيوس : « اسأل أباك فيخبرك ومشايخك فيقولوا لك » . « لا تقم بعمل من الأعمال الا بعد استشارة أب الدير »[1] .

وقالت القديسة سفرنيكى : « إذا كنا فى الكنونيون فإننا نختار الطاعة على النسك لأن ذلك يعلم التعاظم ، وتلك تعلم التواضع ، فيجب علينا الا نطلب ما يصلح شأننا ولا نتعبد لمشيئاتنا الخاصة ، بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذاك الذى بالأمانة نستودعه سراً »[2] .

والنظام فى الدير لا يعنى نظاما يضبط الأعمال ، بل هو نظام نطبقه بروحه فى قلايتنا وحين نكون منفردين . ان الطاعة للنظام هى فى تطبيق روحه ، وفى مراعاة الرب الذى يراقبنا والمبدأ الذى نحن خرجنا من أجله بفرح وليس لنطبقه كقيود .

---

(١) البستان ص١٨٠ .

(٢) البستان ص١٧٨ .

والطاعة أفضل من تقديم الذبائح كما قال صموئيل النبى لشاول الملك « الاستماع أفضل من الذبيحة والاصغاء أفضل من شحم الكباش . لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم » (١صم ١٥:٢٢ــ٢٣) .

الحياة اليومية :

« سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك » (مز ١١٩:١٦٤) .

نحن نعرف ان الرهبان عموما عندما يخرجون للخدمة الكنسية تتكيف صلواتهم مع ظروف حياتهم ، ولكننا نصلى الساعات السبعة فى مواعيدها ونحب أن تحفظ الراهبة التسبحة وأجزاء من صلوات الساعات والمزامير حتى تتعود تلاوتها فى القلاية واثناء العمل الفردى أو الجماعى فى مجموعات خارج الدير ، ليكون عملنا معطراً بالصلاة ونصليها فى مواعيدها . أما إذا دق ناقوس الدير فيصليها الأخوات معا .

ولدينا نظام فى الهدوء والصمت فى الصباح ساعة بعد عبادة باكر ، وبعد الظهر ساعتين ، وفى المساء بعد العشاء إلى ما بعد صلاة باكر صمت مطلق .

أما يوم الأحد فهو خلوة ودراسة للدير كله فيما عدا قلة من الراهبات يعملن الفترة الصباحية يوم الأحد ويأخذن بدلاً عنها يوم

الجمعة من كل أسبوع أما فترات التأمل ففى الصباح تسليم للروح القدس وقيادته وفى الظهر شركة مع الابن المصلوب وفى المساء تأمل فى محاسبة النفس .

وفى مساء الثلاثاء مراجعة موقفنا من دعوتنا الرهبانية وعهود التكريس لئلا نتشبه بيهوذا فى خيانة الرب وتعدى وصاياه ، وفى مساء الخميس مشاركة للمسيح فى جثيمانى ، ويوم الأحد تأمل فى القيامة وصلوات من أجل نمو وازدهار الرهبنة القبطية وجماعات وطرق التكريس البتولى .

ومع الكنيسة نتذكر العهود التى قدمناها فى أول السنة الجديدة . أما أيام الأسبوع فهناك صلوات خاصة بكل يوم اتفقنا عليها من واقع الاحتياجات المعاصرة . وليست العبرة بالصلاة بل بالمواظبة عليها بفرح ودون ملل وبأدائها بيقظة وتفهم « صلوا بلا أنقطاع » (١تس ٥:١٧) .

وهكذا نحفظ أنفسنا بالصلاة على نبع الحياة الأصلى الذى هو الله .

ثالثاً ــ المراحل الرهبانية :

لدينا أربعة مراحل :

١ ــ مرحلة التردد على الطريق :

ليس من السهل وصف الحياة بالدير لمن لم يقم بزيارته

فإذا كان الهدف من التعرف هو الانضمام للدير فهذا يستلزم التردد عليه فى زيارات مختلفة ، واقامة به لاختبار الحياة عن قرب واكتشاف الدعوة .

والمترددات على الدير غير منعزلات بل يندمجن مع الراهبات لينظرن إلى النواحى العامة فى الدير عن طريق المعايشة وليتعرف الدير على الطالبة .

فى الزيارة الأولى تجلس هذه الأخت مع الأمينة ويعطى لها برنامج زمنى للدير . وبعد تحديد المدة التى تقضيها الأخت يقسم وقتها بالساعات بين العبادة والعمل والدراسة والراحة والمرور على المشروعات التابعة للدير فى بنى سويف . ثم يعمل تقييم لزيارتها ويحدد أسلوب المتابعة بالاتفاق معها وإذا كان أب الدير حاضراً تجلس معه وتنال بركته ويساعدها فى الخطوات العملية .

٢ ــ مرحلة تحت الأختبار :

تقضى الأخت طالبة الرهبنة فى الدير مدة سنة على الأقل تتعلم الحياة الديرية ، واللغة القبطية والتسبحة وتتلو المزامير . ويعمل تقييم كل شهرين ثم تقييم شامل بعد سنة . وعلى مجمع الدير أن يحدد الرأى بقبولها أو رفضها أو مد مدة اختبارها .

تمر الأخت على الخدمات فى المشروعات التابعة للدير فى

بنى سويف وتقيم فيها مدة تتراوح بين ثلاثة أو ستة شهور .

الحد الأدنى لسن الالتحاق بالدير هو السن القانونى للرشد .

٣ ــ مرحلة الابتداء ــ العهد الأول :

تبدأ بطقس التكريس الأول . تأخذ الأخت الزنار والثوب الأول وتأخذ اسماً جديداً وتسمى تاسونى Tacwni أى أخت حسب الاستعمال الرهبانى القديم . تقيم فى مكان الابتداء تحت اشراف المسئولة تلتزم الأخت بقانون الدير وتحيا حسب مبادئه وتستمر مدة الابتداء سنتين على الأقل .

يوضع برنامج يحتوى على دراسات وواجبات روحية ومواعيد رياضة روحية وزيارات . تحفظ الأخت المزامير وأجزاء كثيرة من صلوات الساعات والألحان والتسبحة . يكتشف المسئولات مواهب الأخت الفنية والفكرية والعقلية والعملية للمساعدة فى عمل التدريب الخاص على الخدمات المختلفة .

٤ ــ الرهبنة الكاملة ــ العهد الثانى :

وهو عهد لمدى الحياة تتم معه رهبنة الأخت ترتدى المنطقة والزى المعتمد وتختبر معنى الموت عن العالم . ومن أسس اختيار الأخوات إلى درجة الرهبنة الثبات فى الطريق ،

ومحبة العبادة والخدمة ، والاستعداد للتعلم وتغيير الطبع والمرونة والتكيف مع كل الناس واحترام النظام الموضوع والمسئولات التى يحددها اب الدير والأمينات . والاعتدال ، وتتبع خطة عامة مع برنامج للكل يهدف إلى نشر المبادىء الأساسية فى الدير بطريقة يحس بعدها الاعضاء بالسعادة والنمو الروحى تشتمل على أمور كثيرة من بينها :

ورقة أخبار شهرية يصدرها الدير الرئيسى وتوزع على المشروعات التابعة فى بنى سويف والقاهرة وحلوان .

ودراسة للكل فى الكتاب المقدس بطرق مختلفة باللغة العربية ولغات أخرى ، وذراسة الألحان واللغة القبطية ، بهدف التحدث بها ، والتسبحة ومبادىء الدير السبعة ، وموضوعات طقسية وعقيدية ، ودراسات مركزة فى فن التدبير والإدارة بالاضافة إلى وسائل النمو الأخرى كالصوم والصلوات المستمرة والاعتراف والتناول والرياضة الروحية والرحلات والأنشطة والابحاث تحت اشراف المرشد الروحى والتدريب المستمر وقراءة الكتب الرهبانية المختلفة .

وكتابة النوتة الروحية بانتظام ومتابعة واستعمال المكتبة الصوتية .

مبادىء الرهبنة : المبادىء الآتية نذور أساسية تقدمها الأخت وتسام راهبة طبقا لها .

وعددها سبعة فبالاضافة إلى العفة والطاعة والفقر الاختيارى (التجرد) هناك أربعة مبادىء أخرى هى الهدوء والعمل والشركة والخدمة وهى علامات على الطريق مرتبطة بعضها ببعض كل الارتباط تساعد النفس على بلوغ غاية دعوتها ويستلزمها الطريق الخاص للدير .

والنذور الثلاثة الأولى بمثابة الثلاث مسامير التى سمر بها المخلص وبها يصلب الراهب الحقيقى مثل معلمه . كما شبهها البعض الآخر بثلاث حراب بها يحصل الراهب على الانتصار ضد أعداء الإنسان الثلاثة : الجسد والعالم والشيطان .

رابعاً ــ الخدمات :

يتعهد أعضاء الدير بتخصيص أنفسهن تخصصاً كاملاً للرب بمواجهة المطالب المختلفة للخدمة وعلى الأخص الخدمات التى تتطلب تفرغاً أكثر وخدمة فئات المجتمع التى لا تجد من يخدمها الخدمة الكافية لذلك قد نختار أن نعمل من أجل الرب فى الخدمة الصعبة ونخدم المهملين والضعفاء مثل جامعى القمامة (الزبالين) .

وشعارنا « تأدية الأعمال الصغيرة باتقان ورضى »

If I cannat do great things,
I'll do small things in a great way.

وللدير أن ينشىء مشروعات خدمة تتبعه مباشرة أو أن يتعاون مع هيئات خادمة فى المشروعات .

وجدير بالذكر أن الراهبة التى يسمح لها بقضاء فترة خارج الدير إذا طالت أو قصرت تظل تنتمى للدير انتماء كاملاً ، وتحتفظ بطقسها ونظام صلواتها وتسجل ملاحظاتها ، وتكتب تقارير منتظمة لأب الدير والمسئولات ويتابع الدير ظروفها وتستشير أب الدير فى كل خطوة وتنتظر حتى تأخذ الأذن إذا لزم الأمر .

الانفتاح على المجتمع الخارجى والعالم والشماسات والرهبانيات الأخرى .

+ من بلاد كثيرة داخل القطر وخارجه تأتى استفسارات عن طريق الرهبنة والخدمة فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والدير يرحب بزيارة الكل فى بنى سويف والمشروعات التابعة له .

+ ويزور الدير راهبات وشماسات وخادمات من البلاد الأوروبية وأمريكا الشمالية وأفريقيا ويقمن فترة دامت مع البعض لمدة عدة سنوات . يدرسن اللغة القبطية والعربية والطقس والعقيدة الأرثوذكسية ويمارسن الحياة الرهبانية ويتعرفن على تاريخ كنيستنا وقديسيها وثقافة شعبنا وندخل فى مناقشات علمية ودينية مفيدة للطرفين ــ لنا ولهن .

خامساً ــ النظام الادارى :

مثل سائر النظم الرهبانية فى العالم ، الدير مؤسسة مستقلة عن الأيبارشيات . تتبع الرئاسة الكنسية العامة مباشرة . ودير بنات مريم

مؤسس على هذا الوضع مستقلا استقلالا كاملا عن مطرانية بنى سويف . أما من ناحية الوضع المرحلى الحالى .

١ ــ فنيافة الأسقف هو رئيس الدير ويشرف على أمور الدير ويوجهه جماعيا وفرديا بخلاف عمل آباء الإعتراف .

٢ ــ **مجمع الدير :**

يجتمع برئاسة نيافة الأسقف ويقوم مجمع الدير بانتخاب الأمينة العامة والأمينات المحليات مثلما يقوم أعضاؤه بتزكية المتقدمات للرهبنة .

٣ ــ **الأمينة العامة :**

أ ــ المسئولة عن مباشرة متابعة تنفيذ مبادىء الدير وقواعده فى الدير وفروعه .

ب ــ رئيسة لجنة الأمينات ومسئولة عن متابعة قرارات اللجنة .

جـ ــ تقوم بزيارات دورية لمراكز الدير ومشروعاته .

د ــ تجمع المعلومات اللازمة لمجلس الأمينات ودراساته .

هـ ــ تمثل الدير أمام الهيئات الرسمية وغير الرسمية وتقوم على الدوام بالأتصال بالأب الروحى للدير فى كل ما يتعلق بحياة الراهبات ومبادىء الدير وقواعده .

٤ ــ **أمينة المركز :**

مسئولة عن الحفاظ على نظام الدير ومبادئه وعن توزيع الخدمات المختلفة ومختلف اللوازم التى يوكلها اليها نيافة الأسقف وتعمل كل أعمالها بارشاده .

٥ ــ **الأمينات المحليات :**

وهؤلاء يعينهن مجمع الدير ويتضح فى حياتهن تقاليد الدير .

٦ ــ **وظائف أخرى :**

أمينة المخزن ــ خادمة الكنيسة ــ مسئولة المشتروات ــ المطبخ ــ الضيوف ــ الاستقبال ــ المطعم ــ أمينة المبتدئات .

وغير ذلك حسب الاحتياج .

٧ ــ **لجنة المشورة :**

وهى لجنة السياسة العامة للدير وعدد أعضائها سبعة هن الأمينة العامة والأمينات المحليات وثلاثة من أمينات الخدمات من بين اختصاصاتها :

أ ــ دراسة مواصفات الراهبة ومنها الجندية والخدمة .

ب ــ دراسة الأمور الأساسية التى يلزم أن تتعلمها الأخت تحت الأختبار وبرنامج المسئولات عنها .

جـ ــ دراسة مبادىء الدير وقوانينه وقواعده وتتابع مدى تطبيق مبادىء الدير فى القطاعات المختلفة . عن طريق تقارير الخدمات التى تعرض على هذه اللجنة .

د ــ دراسة مشروعات الدير ، وابداء الرأى فى الأنشطة الجديدة ، ودعوة المختصين بهذا .

هـ ــ تحديد ما يلزم عرضه على لجنة الأمينات أو على أعضاء الدير كله .

طريقنا طريق الصليب المقدس قوة الخلاص وروح التضحية .

طريقنا طريق السيدة العذراء المملوءة عفة ونعمة التى عاشت فى تأمل وفى خدمة هادئة مملوءة وداعة .

إله السماء يبارك الدير وبركات سيدتنا العذراء مريم فلتكن معنا ، وصلوات وتعاليم أبينا القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان وابن ايبارشية بنى سويف وشفيعها فلتكن أيضا هاديا لنا .

اننا نعترف بضعفات كثيرة فى حياتنا ومن أجل ذلك نطلب صلوات جميع الأحباء .

ونقدم خضوعنا الكامل لصاحب القداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث فى بداية العام الثامن عشر فى عهده المبارك .

ولسائر الآباء أحبار الكنيسة وكهنتها راجين بصلوات الآباء

القديسين للعالم ولوطننا المحبوب ولكنيستنا المجيدة كل بركة وسلام .
آمـين

انتهى الآن الباب الرابع من هذا الكتاب
كان الباب الأول عن « معالم الطريق »
وكان الباب الثانى عن « الروح الواحد »
وجاء الباب الثالث عن « صور من الحياة »
وجاء الباب الرابع عن : « معلمون مختلفون »
ويحوى : ١٩ السيدة العذراء
٢٠ آباء الرهبنة والخدمة
٢١ قديسون آخرون
٢٢ نداء العصر
٢٣ دير راهبات بنات مريم ببنى سويف

فلنحفظ جميعا ــ نحن المترهبين ــ معالم الطريق واضحة على الدوام ، ولنثبت فى الروح الواحد لأننا جميعا أعضاء فى جسد واحد وطريق واحد ، ولنلتزم بالممارسات اليومية التى هى زاد الرهبان ، متتلمذين للمعلمين القديسين ملتمسين بركة رضاهم وصلواتهم عنا ، من أجل خلاص نفوسنا فى الطريق الذى خرجنا اليه .